مجلة الصحافة

العدد (11) | السنة الثالثة | خريف 2018

قـل كلمتك وامـشِ

جمال خاشقجي

معهد
الجزيرة للإعلام

صور لمفقودين خلال الفترة التي حكم فيها الرئيس التشيلي أوغستو بينوشيه من الفترة 1973 - 1990، في العاصمة التشيلية، سانتياغو - رويترز.

محتويات العدد

4 **نبض الصحافة في الميدان**
إيهاب العقدي

8 **الميدان.. أن تنسج العلاقة مع الأسئلة**
فاطمة الصمادي

12 **في عصر الكذب المتقن.. احذر الصحفي المسخ**
عياش عبد الإله عياش

18 **المراسلة الجديدة**
نجوان سمري

22 **من الرباط إلى كابل.. قصة مراسل**
يونس آيت ياسين

26 **دع الآخرين يتحدثون**
عمار الشقيري

32 **كيف يكسر الصحفي هيمنة وكالات الأنباء؟**
أحمد حاج حمدو

38 **المدقق اللغوي.. شرطيّ النصوص**
خالد سليم

44 **صحافة الفيديو.. عن إمكانية الموت قبل الولادة**
فاتن الجباعي

50 **صحافة الأشباح في العراق.. رحلة البحث عن الأمن الوظيفي**
مسلم عباس

54 **أخطاء محتملة في الترجمة الصحفية**
فراس العلي

60 **فيلم «الحروب القذرة».. الصحافة في زمن الحقائق البديلة**
محمد خمايسة

64 **نضال الصحفي «غير الأبيض» لتغيير ثقافة غرفة الأخبار الأميركية**
مارتينا غوزمان

متظاهر يحمل صورة الصحفي السعودي المفقود جمال خاشقجي في احتجاج أمام القنصلية السعودية في إسطنبول - تركيا. 5 أكتوبر/تشرين أول 2018.
تصوير: عثمان أورسال - رويترز.

كتّاب المجلة

إيهاب العقدي

مراسل قناة الجزيرة في لبنان، عمل سابقا منتجا لوكالة الأسوشييتيد برس، ومراسلا ومنتجا للنشرات في تلفزيون أخبار المستقبل.

فاطمة الصمادي

باحثة وأستاذة جامعية، عملت في الصحافة والتدريس الجامعي، تعمل حاليا باحث أول في مركز الجزيرة للدراسات.

نجوان سمري

مراسلة قناة الجزيرة في فلسطين، عملت منتجة أخبار في القدس وداخل الخط الأخضر. شاركت في عدة تغطيات أبرزها حصار الأقصى عام 2017.

يونس آيت ياسين

مراسل قناة الجزيرة في المغرب، غطى أحداثا في عدة دول أفريقية وألمانيا وأفغانستان، مؤخرا بدأ العمل مع قناة الجزيرة الإنجليزية.

عمار الشقيري

صحفيٌّ مختصٌّ بالشأن الثقافي. أصدر مجموعتان قصصيتان، وكتب مقالات في أكثر من مجلة وصحيفة عربية وأجنبية.

أحمد حاج حمدو

صحفي استقصائي سوري، خريج كلية الإعلام بجامعة دمشق. جائزة أفضل تحقيق استقصائي عربي لعام 2014 - مسابقة «شبكة أريج».

عياش عبد الإله عياش

صحفي عربي مقيم في واشنطن.

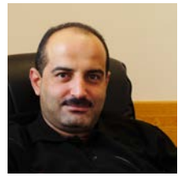

خالد سليم

مدقق لغوي ومحرر في جريدة الحياة الجديدة الفلسطينية وجامعة بيرزيت وعدد من المؤسسات البحثية.

فاتن الجباعي

صحفية فيديو، تعمل مراسلة حرة لتلفزيون دويتشه فيله الألماني وعدد من المؤسسات الدولية. مدربة على صحافة الفيديو والموبايل.

مسلم عباس

صحفي وأكاديمي عراقي، طالب دراسات عليا في كلية الإعلام جامعة بغداد، أستاذ مادتي الخبر الصحفي والصحافة الإلكترونية.

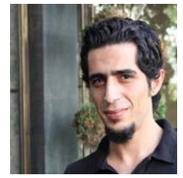

فراس العلي

صحفي سوري يحمل إجازة في الحقوق، عمل محررا في عدة وسائل إعلامية، ومراسلا سابقا للجزيرة نت، عضو في رابطة الصحفيين السوريين.

محمد خمايسة

صحفي أردني وباحث في قضايا الإعلام والدراسات الثقافية. وله عدد من الأبحاث المتخصصة في تحليل الخطاب الإعلامي.

مارتينا غوزمان

صحفية أميركية من أصول مكسيكية. تعمل ضمن برنامج زمالة في مركز ديمون جي كيث لصحافة الحقوق المدنية والشؤون العرقية والعدالة.

وكانت تلك الطقطقة الأخيرة

«النهاية: وبعد ذلك، مشتعلةً بالحب، غنَّت لك فتاتك هناك.. كانت أكثر عمقاً؛ أكثر عمقاً من الحفر السوداء، من الصيحات، من الكابوس.. هناك تروي لك المرأة العاشقة القصة؛ إنه وصف، خرائط وبلاد مفجوعة، لكن فتاتك بكاملها أنشدت هنا.. فاصل.. صحراء حبك.. فاصل.. وماذا بعد».

هذه نهاية قصيدة ملحمية كتبها الشاعر التشيلي راؤول سوريتا يصوِّر فيها قصّة حبيبيْن تتشابك علاقتهما مع تعرضهما للتعذيب الذي كان يحدث في سجون الديكتاتور التشيلي أوغستو بينوشيه، والذي طال المعارضين من حزبيين وصحفيين.

وهي ملحمة تنبئ بما يحدث لأي صوت يعارض الصوت الأعلى، صوت السلطة المطلقة. بيد أنها انتقلت من أقبية السجون إلى مقرات القنصليات في الطرف الجغرافي المقابل للتشيلي..

دخل رجلُ أعزلُ قنصلية بلاده، أعزل إلا من قلم وتفكير ناقد، هناك وجد «أعمامه الفاسدين» كما ذكرهم سوريتا «ذهبتُ إلى كل هؤلاء الأعمام الفاسدين واحتججت»، لكن الرجل لم يذهب ليحتج، بل ليكلّل حبّه بالنشيد، ليصير هو النشيد المفقود.. ثم ماذا؟ «قال الملازم، اللعنة، سنذهب لنلوِّن قليلا» في ملحمة سوريتا، حيث المهمّة نُفِّذت، أما الملحمة «الخاشقجية» فقد قال الملازم: «استمعوا للموسيقى ريثما أنهي تقطيع جثته».. وكانت تلك «الطقطقة الأخيرة، ولم تكن هناك حاجة للحراك.. كل شيء يتحرك الآن».

غدير أبو سنينة

مجلة الصحافة

العدد (11) I السنة الثالثة I خريف 2018
مجلة فصلية تصدر عن
معهد الجزيرة للإعلام
شبكة الجزيرة الإعلامية

المشرف العام
منير الدائمي

رئيس التحرير
منتصر مرعي

سكرتير التحرير
غدير أبو سنينة

مراجعة لغوية
الفضيل بن السعيد

تصميم
إدارة الإبداع في شبكة الجزيرة الإعلامية

صورة الغلاف
The Washington Institute for Near Policy

مجلة الصحافة
Aljazeera Journalism Review

موقع الإنترنت:
/http://institute.aljazeera.net/ar/ajr

تويتر:
@AJR_Arabic

فيسبوك:
www.facebook.com/
aljazeerajournalismreview

بريد المجلة الإلكتروني:
ajreditor@aljazeera.net

نبض الصحافة في الميدان

إيهاب العقدي

إيهاب العقدي خلال إعداده أحد التقارير الخاصة بشبكة الجزيرة.

يفقد قطاع الإعلام في العالم العربي يوما بعد يوم، الكثيرَ من وهجه ورونقه وتأثيره في محيطه، لأنه لم يعد يحترم إلى حد كبير المتلقي الفردي والجماعي، ويستسهل عملية إعداد المواد الإخبارية ويقدّمها بعيداً عن القالب الميداني المهني والموضوعي الجذاب، الذي يلبي شغف المتلقّي وحقه في أن يُعلم.

من حيث المبدأ، ترفد الصحافة الميدانية غرف الأخبار بالجزء الأوفر من المواد الحديثة لمؤسسات الشبكات الإعلامية الكبرى، ويشكل المراسلون عصبها الأساسي، ومصدرها الأكثر مصداقية للمشاهد، فعين المراسل هي التي ترصد الحدث وحيثياته وخلفياته وأبعاده، والأهم من ذلك أثره على الإنسان.

غير أن ما يجري على الأرض، أي الميدان بلغة الصحفيين، مغاير تماماً لما يفترض أن يكون عليه الحال، فمعظمهم يجلسون وراء مكاتبهم -على قاعدة «البيروقراطية» القاتلة حكماً لهذه المهنة- «يرصدون» وسط ملل ورتابة، ما يقوله الناطقون الرسميون باسم أجهزة الدولة والمنظمات على اختلاف تسمياتها.

أما واقع الأمر فيفترض عكس ذلك تماماً، فمثلا عند تغطية ميدانية لتظاهرة ما، لا تكون الأولوية لمن تحدث عنها سلبا أو إيجاباً، أو من يؤيدها أو يعارضها، إنما المهم الإشارة إلى عدد المتظاهرين وشعاراتهم في قضية معيشية، لأن ملامسة المراسل لحقيقة القضية لا تكون بملازمة غرفة الأخبار وانتظار تصريحات المعنيين ورأي الحكومة ليبني تقريرا يقول فيه «تظاهر المئات مطالبين بكذا وردت الحكومة بالموقف كذا».

من الطبيعي أن تأتي مقدمة الخبر روتينية بمعنى أنها تستوفي الأجوبة عن الأسئلة البديهية، بأن تظاهر المئات أو الآلاف للمطالبة برفع الأجور، لكن الأهم ابتعاد التقرير الميداني عن التعميم الدائم وانتقاله إلى التخصيص. فرواية قصة متظاهر فقد منزله ومدرسة أبنائه بسبب تراجع قيمة راتبه، هو جوهر القضية الإنسانية لتراجع قيمة الأجور، وهذه الزاوية لا يمكن قياسها بالمراقبة من بعيد، فنبض

لا يكتفي التقرير الميداني بذكر عدد المتظاهرين وأسباب احتجاجهم، بل ينتقل من التعميم للتخصيص ويروي قصة متظاهر فقد بيته بسبب رفع الأجور. الصورة من تظاهرة في بيروت عام 2010. تصوير: شريف كريم - رويترز.

القصة يُنقل بمدى الاقتراب منها.

يقول أستاذ الإعلام في الجامعة اللبنانية راغب جابر الذي اختبر العمل الصحفي خلال عقود، إن «الصحفي المكتبي لا يستطيع أن يصنع حكاية من الحدث، بينما المراسل الميداني يمكنه فعل ذلك». ويرى أن مستقبل التغطيات الميدانية هو «للكتابة الانطباعية وحركة الكاميرا التي يجب ألا تصور تصويرا جافا»، لافتا إلى أن التغطية التقليدية «لم تعد جاذبة للمشاهد، وبالتالي أصبح دور الصحفي أكبر، وهو ما يستوجب تدريبا مستمرا»، وكذلك وجود «سقف حرية مرتفع على المؤسسات توفيره لصحفييها الميدانيين».

ويجزم جابر بأن هناك صحفيين أو مراسلين لا يملكون متطلبات الحد الأدنى المطلوب للقيام بتغطيات ميدانية، وأن أخبارهم تؤشر على «سياسات تحرير مقررة سلفا، تطبع عملهم إرضاءً لمؤسساتهم فيفقدون جزءا من حريتهم»، وهذه سمة عامة للصحافة أو للإعلام العربي، يضاف إليها أزمة بنيوية مالية في الإعلام العربي فرضت على المؤسسات الإعلامية «الابتعاد عن توظيف الكفاءات المهنية والاكتفاء بتوظيف مراسلين غير متمرسين برواتب قليلة».

مخاطر الميدان

يُجمع كثير من الصحفيين، بغض النظر عن سقف الحرية الممنوح لهم أو الراتب الذي يتقاضاهم، بأن الخطر الأول على حرية الكلمة ينبع من ميدان العمل، حيث الحروب والاضطرابات خصوصا في المنطقة العربية التي تواجه منذ سنوات أزمات مفتوحة، وصنفتها منظمة «مراسلون بلا حدود» بأنها الأكثر صعوبة وخطورة لممارسة مهنة الصحافة، وفيها -مثل بقية العالم- تصاعد للكراهية تجاه الصحفيين.

وفي مثل هذه الظروف ينبغي

أن يكون المراسل صاحب كفاءة وتمرّس في الميدان، ولذلك متطلباتُ تبدأ بتدريبه على العمل في بيئات مختلفة، بها نسبة مخاطر مرتفعة كتغطية المعارك والاضطرابات الشعبية، وإحاطة تامة بجوانب المهمة المكلف بها من ناحية المعلومات المرتبطة بالحدث أو القصة، ومعرفة طبيعة الأرض والسكان ومن هم المؤثرون فيهم.

وفرضت طبيعة الأحداث على الصحفيين التغطية من جانب واحد، بحكم أن بعض الأطراف في مختلف الدول العربية وضعت قيودا على الصحفيين للعمل على أرضها، ثم رفضت القوى المناوئة لها وجود صحفيين تعتقد أنهم سيقدمون وجهات نظر لا تخدم أجندتهم، مما فرض تحديات على غرف الأخبار للإبقاء على توازن التغطية وفق المتاح أمامها من مصادر.

وأدى ذلك إلى اختلال في توازن التغطية للمراسل الميداني، فمثلا كان غير مسموح لمن غطّى أخبارا في مناطق المعارضة السورية أن يدخل مناطق النظام، والعكس صحيح، فكان على المراسل تقديم قصته من وجهة نظر واحدة، كما تقول مراسلة الجزيرة الإنجليزية زينة خضر التي تعمل في الميدان منذ عام 1995، لكن على المشاهدين معرفة ذلك من المراسل نفسه الذي عليه «أن يقول ذلك صراحة خلال تغطيته الميدانية وبطريقة لا تثير من يسيطر على الأرض من القوى المتحاربة، لأنه من واجبنا المهني والأخلاقي إبلاغ المشاهدين بذلك».

وتوضح المراسلة زينة ذلك من خلال تجربة لها في سوريا، إذ وجدت نفسها محاطة بمسلحين طلبوا منها تسجيل رسالتها أمام الكاميرا أثناء حضورهم، وفي هذا رقابة واضحة، فقالت «إنني أقدم وجهة نظر هذه الجهة». وفيما اعتبرته أسلوبا مهنيا وذكيا، روت في تفاصيل تقريرها مشاهداتها، وهو تماما ما يجب أن يحصل عند انتداب مؤسسة مراسلا لها للعمل ميدانيا مع أحد الجيوش في معركة ما، وعندها يكون الصحفي محاطا بالمعلومات التي تبثها هذه الجهة فقط، إذ عليه -تقول زينة- أن يعلن ذلك «صراحة لا تورية» بأن الخبر مصدره هذه الجهة فقط، وهو ناقل لروايتها.

وأحيانا يمكن للمراسلين العاملين في بلدان تتيح حرية التحرك، الوصول إلى مواقع الحدث الخطيرة، لكن عليهم مجابهة جمهور أو فئات غاضبة يصنفون المؤسسة التي يعمل بها المراسل في خانة «الجهات غير الصديقة». يقول بسام أبو زيد رئيس نادي الصحافة اللبناني والمراسل الذي عمل لعقود في الميدان، إن الكثير من الزملاء «واجهوا ذلك أثناء تغطيتهم بعض التفجيرات الانتحارية التي وقعت في مناطق مختلفة من لبنان، وهوجموا وطردوا من مكان التغطية، لكن الخطر يكمن في الصيغة التي يُقدم بها الخبر مراعاة لخاطر غاضبين يقفون في محيط المراسل أثناء التغطية المباشرة».

الدخلاء على الميدان

وإذ يشير رئيس نادي الصحافة اللبناني إلى مخاطر مشاركة صحفيين من ذوي الخبرة المحدودة في تغطيات مماثلة، يحذر من إشراك صحفي المكاتب فيها، فليس «كل من يخرج من المكتب مراسل ميداني، فالمحترفون يدركون أسلوب التحرك وطبيعة الناس والمصادر، أما الصحفي المكتبي فيعتقد أنه سيُستقبل بالتصفيق، والمعلومات في الميدان بعكس الواقع، فقد اعتاد العمل بمادة جاهزة بكل معاييرها تصله إلى مكتبه».

يفاخر زميل يعمل في إحدى وكالات الأنباء الدولية بأن «هاتفه الذكي هو مكتبه الجوال»، ولا حاجة له إلى التواجد في مكتبه الذي قد يكون منزله أو سيارته أو حتى مقهى على قارعة طريق، ففيه كل ما يحتاجه من أرقام اتصال وعناوين بريد إلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي، حتى إن حقيبة صغيرة تحتوي على بعض الثياب موجودة في صندوق سيارته، وجواز سفره ممهور بسمات دخول إلى عدد من الدول المجاورة، وهو أمر بالتأكيد «لا يمكن لصحفي مكتبي أن يملكه في منطقة ملتهبة تستوجب التحرك الدائم».

يروي صحفي آخر اختبر العمل في مؤسسات محلية وعربية، أن مراسلي معظم وسائل الإعلام العربية «لا يحترمون الحد الأدنى من معايير السلامة التي يفرضها العمل الميداني»، ويعود ذلك إلى «تحول صحفيين من المكاتب إلى مراسلين ميدانيين، أو الاستعانة بمراسلين غير أكْفاء، مما يعرض هؤلاء للخطر».

ويشير هذا الصحفي إلى حوادث كثيرة حصلت حول العالم، لكنه لفت إلى أمر وقع في منطقة القاع شمال شرق لبنان حين هاجمت مجموعة من الانتحاريين البلدة، ثم أعقبتها موجة ثانية، فاندفع الصحفيون إلى التغطية المباشرة دون حد أدنى من معايير السلامة.

ويقول إنه كان يشاهد مراسلة ترتدي السترة الواقية للرصاص والشظايا فقط عند حضورها أمام الكاميرا ودون الخوذة، وعندما اشتبهت القوى الأمنية في وجود انتحاري مختبئ اندفعت وراءهم. ويضيف مستغربا أنه عندما سألها عن نوع الدرع وقدرته على حمايتها، لم تعرف، بل تبين له أنه فارغ من الدرع الفولاذي، بمعنى آخر أنها ليست سوى أداة للتأثير في المشاهد.

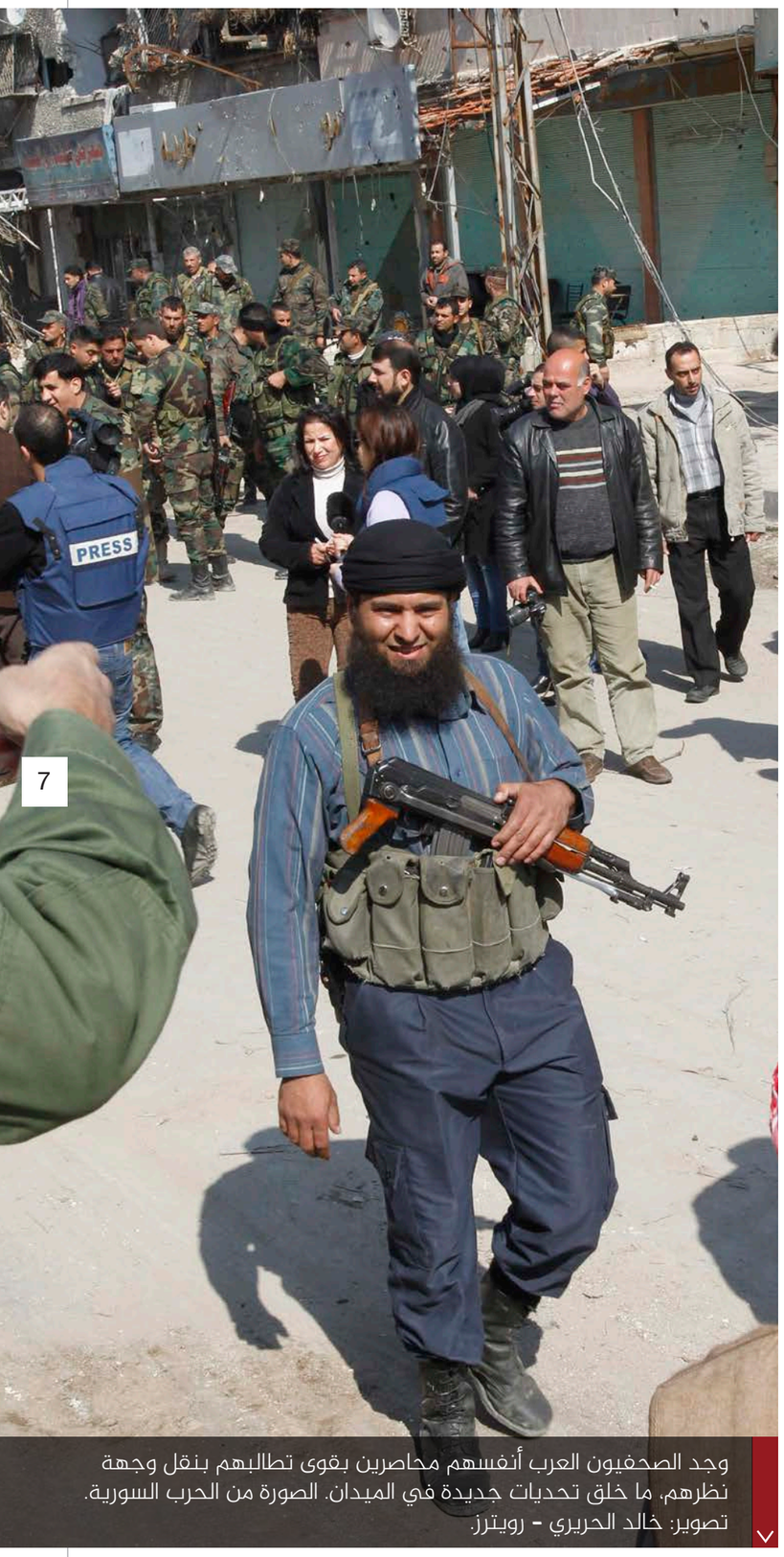

وجد الصحفيون العرب أنفسهم محاصرين بقوى تطالبهم بنقل وجهة نظرهم، ما خلق تحديات جديدة في الميدان. الصورة من الحرب السورية. تصوير: خالد الحريري - رويترز.

الميدان.. أن تنسج العلاقة مع الأسئلة

فاطمة الصمادي

في لعبة التقمص الوجداني التي مارستها الباحثة مع طلابها، كان الطلاب يتقمصون دور المسؤول ببراعة، بيد أن المشكلة الأكبر كانت في تقمص دور الصحفي وحياكة السؤال الجيد.

تمكّن الطلاب من إيجاد قصص لتقارير صحفية بعد نزولهم للميدان.

كنتُ أحب ممارسة لعبة التقمص الوجداني مع طلابي، وهم بدورهم يتحمسون لذلك.. كنا نلعب كالتالي:

تخيّل أنك صحفي تعمل في صحيفة أو قناة فضائية أو موقع إلكتروني، وسمعتَ عن مظاهرات احتجاجية في مدينة الطفيلة جنوبي الأردن، هل يمكن أن ترسم خطة تشرح لنا كيف ستغطي هذا الحدث؟ وما الأسئلة التي تحضر في ذهنك وتجد من الضروري أن تحصل على إجابة بشأنها قبل أن تكتب أو تقدم تغطيتك؟ كان الطلاب يتناوبون على تقمص دور الصحفي، ولإكمال اللعبة كنا بحاجة إلى طرف آخر، مسؤول مثلا..

تخيّل أنك الناطق الرسمي باسم الحكومة، وكان أحد الأسئلة التي تلقيتها في مؤتمرك الصحفي مع وسائل الإعلام يقول: اعتقلت قوات الأمن ناشطين على خلفية المظاهرات الأخيرة في أكثر من مدينة أردنية، ما عدد المعتقلين؟ وما مبررات اعتقالهم؟ (هذه اللعبة على وجه التحديد خلقتْ لي مشاكل مع إدارة الجامعة). كان الطلاب يتناوبون على تقمص دور الصحفي ودور المسؤول، وكنت ألاحظ دون عناء أنهم يتقمصون دور المسؤول ببراعة وذكاء، وكلما ارتفع مستوى المنصب، ارتفعت قدرتهم على تقمص دوره، والدفاع عن قراراته، في حين كانوا يتعثرون في تقمص دور الصحفي، وطرحُ السؤال هو الأصعب! بدت أدوات طلابي فقيرة على صعيد طرح السؤال.. وكثيرا ما كنتُ أتجه إلى اللوح، وأرسم لهم علامة استفهام كبيرة، لأذكرهم: الصحفي هو هذا! أن تكون قادرا على الشك وطرح سؤال يحتاج إلى إجابة، وأن تسعى للحصول على تلك الإجابة، لكنك بدون براعة طرح السؤال ستبقى حائرا على أبواب هذه المهنة دون أن تعبر من بابها الأول.

ولا يمكن لوم الطلاب على هذا القصور، فالإنسان الذي يقابله المدرس في غرفة التدريس نتاج بيئة اجتماعية وثقافية تتضافر مع الخبرات والتجارب ومناهج التدريس في مجموع نسميه في الإعلام «الإطار المرجعي». ولم يكن الإطار المرجعي وحده من نلقي باللوم عليه، كانت قاعة التدريس والمناهج والخطط المقترحة لتدريس الطالب أيضا؛ فقيرة بصورة لا يمكن معها وضع الطالب في صورة الأمواج الجديدة في مجال الصحافة والإعلام.

في أحد الفصول تقرر أن أدرّس مساق «كتابة التقرير الصحفي»، وتفاجأت أن زملاء لي يقترحون على الطلاب كتبا ومناهج تعود إلى ثمانينيات وسبعينيات القرن العشرين، ويكتفون بتلقين الطلاب مواصفات التقرير وكيف يُكتب وفق الهرم المقلوب أو المعتدل، وهذا برأيي لا يمكنه أن يعلم الطلاب «كتابة التقرير الصحفي»! وكثيرا ما دخلت مع زملائي في جدال حول جدوى ذلك، وكانت الحجة التي تساق: أنتِ جئت من خلفية صحفية، عملتِ في الصحافة قبل أن تدخلي المجال الأكاديمي، ولذلك تولين أهمية للتطبيق على حساب النظرية.

ولم يكن ذلك دقيقا، إذ إن دفاعي عن ضرورة زج الطلاب في الميدان وتعليمهم الصحافة في «الشارع»، لا يعني بأي وجه من الوجوه التقليل من التقاليد الأكاديمية والأطر النظرية لهذه المهنة، بل على العكس، لكنني أرى أنها خطوط عريضة تعين الطالب على التحرك في الميدان.. الميدان الذي لا يكاد الطالب في كليات الإعلام العربية يعرفه إلا في مشروع التخرج في سنته الأخيرة. وهذه الخطوط العريضة تحتاج إلى التحديث بحيث تجعل الطالب مدركا لحالة التغيير المتسارع الذي يشهده هذا المجال اليوم، وقادرا على المنافسة في رحلة البحث عن عمل.

المفارقة أنني عندما درَستُ تخصص الصحافة والإعلام في جامعة اليرموك (1990 ـ 1994)، وكانت الجامعة الوحيدة التي لديها هذا التخصص، وفّر القسم صحيفة كنا ننتجها نحن طلاب «التحرير الصحفي» من الألف إلى الياء. وشكلت «صحافة اليرموك» -وكانت ورقية آنذاك- صحيفة مجتمع محلي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تصدر مرة في الأسبوع وتناقش قضايا واقعية، وتتضمن تغطيات ميدانية.

كاتبة المقال في جولة مع طلابها بعيدا عن مقاعد الدراسة.

وانطبق ذلك أيضا على تخصصيْ الإذاعة والتلفزيون، حيث توفرت للطلبة أستديوهات إذاعية وتلفزيونية يديرها الطلبة ويبثون من خلالها داخل الحرم الجامعي، تقارير وبرامج مصدرها أكثر من مدينة أردنية.

استند أسلوب التدريس في تلك الفترة على خلق ألفة بين الطالب والعمل الميداني، وعندما عدت إلى هذا المجال أستاذة، ورغم انتشار الكليات والأقسام التي تدرس هذا التخصص، أدركتُ أن الأدوات والمحتوى الذي يقدم للطلاب في عدد كبير من الجامعات لا يمكن معه تخريج صحفي كفء قادر على القيام بأعباء المهنة، فبعض الجامعات كانت تجهز أستديوهات للحصول على موافقة وزارة التعليم العالي، ثم تغلقه في وجه الطلبة وكأنها تخاف أن يتلفها الطلاب.

وعودة إلى حكاية مساق «كتابة التقرير الصحفي»، لم يكن تعليم الطلاب الأسس النظرية لكتابة التقرير بحاجة إلى عناء ووقت طويل، لكن المشكلة كانت في «خلق الأفكار» التي تصلح أن تكون تقريرا، وبناء محاججة مقنعة بشأنها من خلال معرفة آراء الفاعلين في القضية، ولم يكن ذلك ممكنا وسط حيطان أربع. كانت جدران القاعة ثقيلة بالنسبة لي كمدرسة، وثقيلة في الوقت ذاته بالنسبة للطلاب، خاصة أولئك القادرين على طرح التساؤلات والتفكير بما يتعدى أسوار الجامعة. ولم يكن ينفع اللجوء إلى الخيال، في وقت يمكن للطلاب أن يعيشوا تجربة واقعية، ويدربوا حواسهم على الإصغاء والنظر والالتقاط، بل وتنمية الحس النقدي والنفاذ إلى ما هو أبعد من الظاهر.

أنه يبيع الكتب بالتقسيط، ولديه زبائن دائمون من الوزراء والشخصيات السياسية على مختلف ألوانها.

عندما عدنا إلى قاعة الدرس في المحاضرة التالية، وجدت طلابي يلقون الفكرة تلو الأخرى.. لقد بدوا أكثر قدرة على التعبير عن أنفسهم وأفكارهم، ثم صاروا يأتون بقصص واقعية من مجتمعهم.. مع نهاية الفصل، لاحظت أن كثيرا منهم قد نسج علاقة قوية مع «السؤال»، لقد عقدوا صداقة معه.

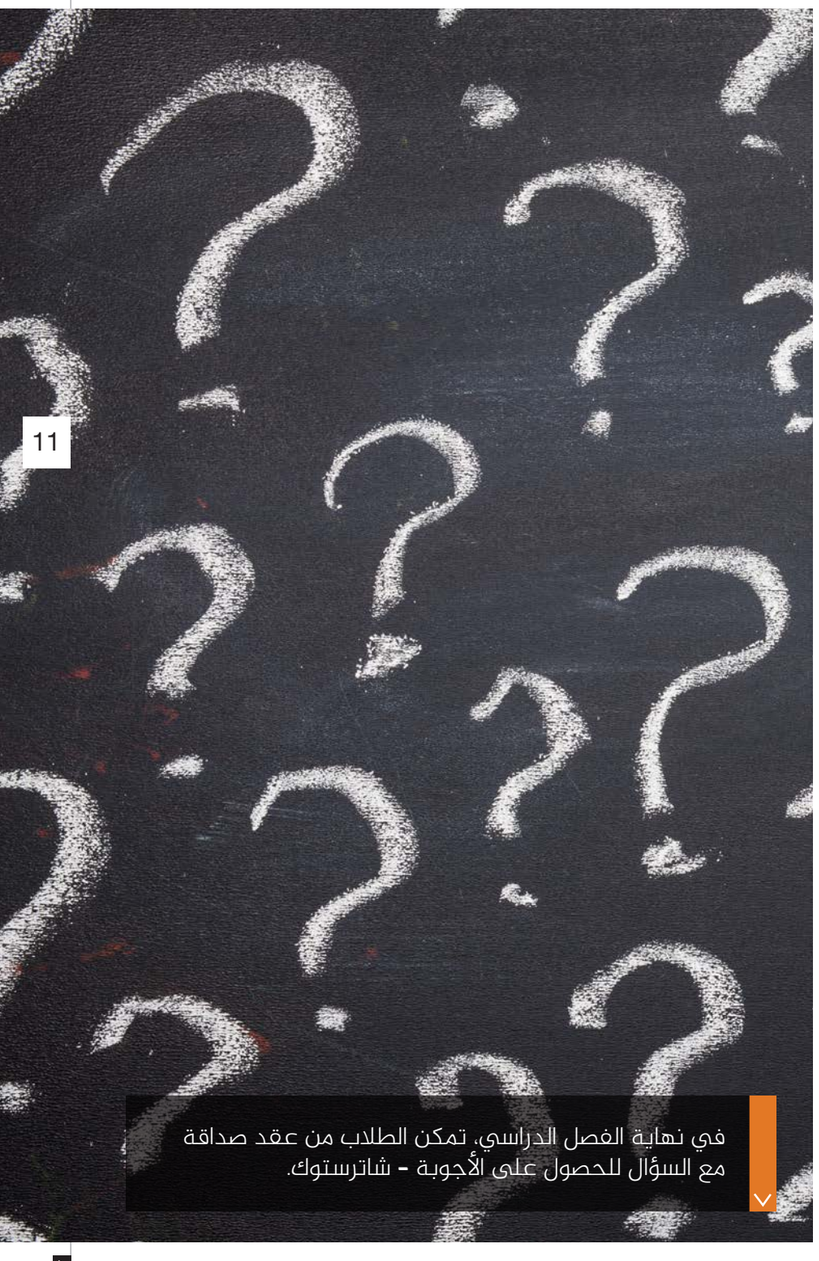

في نهاية الفصل الدراسي، تمكن الطلاب من عقد صداقة مع السؤال للحصول على الأجوبة - شاترستوك.

كان مقهى حمدان واحدا من مقاهٍ عدة مثلت صالونات سياسية في فترة ما من تاريخ العاصمة. واندفع بعضهم نحو كشك شهير لبيع الكتب هو كشك أبو علي، معروف عنه

في عصر الكذب المتقن.. احذر الصحفي المسخ

عياش عبد الإله عياش

الصحفي «الشاطر» هو بمثابة «لص» يعرف كيف يخفي أثره، فهو يجمع معلومات متناثرة من أبخس المصادر، يرتقها في تقرير بائس، ويتباهى أمام مديريه بأنه فتح النار على أعداء ما، وحقق «ترافيك» ومشاهدات لا تعدّ، وطبعا دون أن يغادر كرسيه.

لحظة الانكسار الأولى تختلف بين صحفي وآخر، لكنها قد تأتي في يومك الأول بقاعة التحرير.. تحمل أعوامك العشرين، وأحلامك بتغيير العالم، وإيمانك بسطوة الكلمة؛ إلى حلقة محررين كهول في صحيفة محلية.. مهمتك الأولى: اصنع خبرا من هذا البيان الصحفي.

الصفحات الثلاث الخارجة للتو من الفاكس الباهت الحبر تتحول إلى 50 كلمة تقدمها إلى سكرتير التحرير وأنت ضجر.. المهمة تافهة، والخبر تافه، لكنك لا تجرؤ على رميه في سلة المهملات.

هل جدّفت بحق إله ما للمهنة؟ ربما، فقد امتقع وجه المدير: «لماذا خسفت الخبر؟». تسأل أكثر الكهول شبابا لتعرف أن المطلوب هو أن «تغير اليوم إلى أمس» وتصلح الأخطاء الإملائية والنحوية. درسك الأول: الصحفي ببغاء.

في مواجهة المسخ

كانت تلك صحيفة محلية تافهة الحجم والتأثير.. الفرص اليوم أكثر، والتنافس أكبر، والتدريب أوفر، لكن مشروع «مسخ الصحفيين» متواصل. مهنة تتغير بسرعة فائقة.. صحفيون محبطون يعانون قلقا وجوديا.. نظام إعلامي موبوء بسطوة المسؤول والتقاليد الفاسدة والولاءات.. فشل في توطين تكنولوجيا الإعلام، وخلط في فهم «السوشيال ميديا». كلها ظروف مثالية لتحويل الصحفي إلى مسخ: ببغاء يعبد المسؤول، ديناصور يجتر التجارب الفاشلة، أو ضبع يقتات على كل فاسد وكاذب ونتن من الأنباء.

هذا ما يحدث في عشرات من قاعات التحرير العربية: الصحفي «الشاطر» هو بمثابة «لص» يعرف كيف يخفي أثره، فهو يجمع معلومات متناثرة من أبخس المصادر، يرتقها في تقرير بائس، يبهرها بكليشيهات ووعود كاذبة تتسول اهتمام المشاهد النزق، ثم يتباهى أمام مديريه بأنه فتح النار على أعداء ما، وحقق «ترافيك» ومشاهدات لا تعد، وطبعا دون أن يغادر كرسيه.

لا تكن هذا المسخ! المقاومة فردية أساسا، والتزام مهني شخصي يضمن لك ألا تكون وقود مرحلة بائسة سريع الاشتعال والانطفاء.

الصحفي الببغاء

تقول الحكومة إن القطاع الزراعي نما في الربع السنوي الرابع 300٪.. تنسخ الصحف والمواقع الإخبارية البيان وتقدمه كخبر. لو فكر المحرر دقيقتين لتذكر أن موسم الزيتون هو ذروة الإنتاج الزراعي في البلد.. الحكومة تنسب لنفسها الفضل في تبدل الفصول.. كان الناس يقطفون الزيتون في الخريف (الربع الرابع) قبل أن تأتي الحكومة، وسيظلون يقطفونه في الخريف بعد رحيلها.

محررو الديسك -لو عرفتهم في وسائل الإعلام المحلية تحديدا- قديرون ساخرون، يروون قصصا عن بؤس أدوارهم لا تعرف فيها الجد من الهزل، ويحدثونك عن المحرر الذي استلم بيانا من الشرطة عن انقلاب شاحنة تحمل دجاجا.. أطنب المحرر في وصف الدجاج الذي ركض في كل اتجاه وقفز على المارة، ليكتشف لاحقا أن الشاحنة كانت تحمل دجاجا مجمدا.

كم أنطق محررو الديسك مسؤولين في فعاليات لم يحضروها وكتبوا عن أنشطة لم تحدث، لأن البيان الصحفي كان معدا سلفا ووصلهم بالخطأ!

من يغري من بإرتكاب هذه الأخطاء؟

لطالما شكا الأطباء من التبسيط المخل واليقين الزائد في التغطية الصحفية للأبحاث الطبية.. هل تتذكر كم مرة قرأت فيها أخبارا عن تأثير القهوة على الصحة؟ هي في صحيفة اليوم سم زعاف وفي صحيفة الغد بلسم شاف.

هناك تراكم بحثي جيد يدرس هذه الظاهرة.. البيان الصحفي هو المتهم الأول.. رجال العلاقات العامة يكتبون بيانات وفي بالهم إغراء المحرر للنشر، والنتيجة هي التعميم والتشويه والتبسيط لنتائج أبحاث لا تدعي اليقين أساسا (1).

لكن لماذا ينشر الصحفي ما يصله هكذا دون نقد؟

لمن الولاء اليوم؟

إشكالية أعقد بالطبع من بهرجة أو اختلاق خبر، ولها أساس فلسفي وتاريخي.. يقوم النموذج النظري للصحافة المستقلة على الولاء الخالص للجمهور، إذ تجتهد الصحافة في خدمة الجمهور فيكافئها

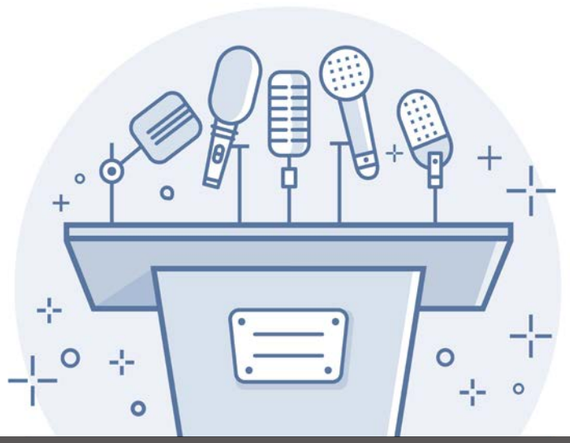

كم أنطق محررو الديسك مسؤولين في فعاليات لم يحضروها وكتبوا عن أنشطة لم تحدث، لأن البيان الصحفي كان معدا سلفا ووصلهم بالخطأ - شاترستوك.

بمتابعة أكبر.. الولاء يعني بالضرورة أن يكون المنتج الصحفي مفيدا، متنوعا، صادقا، وشجاعا في الدفاع عن مصلحة الجمهور، وهذا يعني أن المعلومات دقيقة، وموضوعة في سياق مناسب، ومصوغة بأسلوب احترافي لا تؤدي الإثارة فيه إلى التضليل.

هذا نموذج نظري معياري بالطبع.. تاريخيا، اقتربت الصحافة أحيانا وابتعدت في أحيان أخرى عن تحقيق مُثلها المعيارية، وهذا طبيعي إلى حد ما. لكن الإطار المعياري يظل مهمًا لأنه مكرس في القوانين والأخلاقيات، فعندما يحاكم الجمهور الصحافة يحاكمها بناء على هذا الإطار المعياري، وهو «العقد الاجتماعي» للصحافة (2).. لكن الأخيرة الآن بعيدة جدا عن مُثلها.

التناقض أساس

مصلحة الجمهور هي بوصلة الصحافة.. ومصلحة المؤسسة هي بوصلة «العلاقات العامة».. وظيفة الإعلام أن يكشف أخطاء المؤسسات، لكن المؤسسة تفضل دائما أن تنظف بيتها الداخلي بدون ضجة.. الشفافية ضرورة للصحافة الحرة، لكنها أداة في حقل العلاقات العامة. العدالة التزام أساسي في الصحافة (يضمن لك القانون الحرية، لكنه يشترط عليك العدالة).. العلاقات العامة ترف يقدر عليه الغني فقط.. لا عدالة مجتمعية في صناعة العلاقات العامة، والترويج فن منحاز إلى أصحاب السلطة وقد يستخدم الشفافية دون أن يلتزم بها مطلقا.

هذه تناقضات أساسية بين فلسفتين وقطاعين لا تحله مواثيق الشرف التي تلزم مديري العلاقات العامة بأداء أمين، نزيه، ينشد الحقيقة (3).. في المرة المقبلة التي تحرر فيها بيانا صحفيا، تذكر هذا التناقض.

السم

يظهر هذا التناقض بوضوح في سيرة آيفي لي (1877-1934) الذي يلقب بأبي العلاقات العامة.. رأى لي أن وظيفة رجال العلاقات العامة هي تحفيز العقل الجمعي لجمهور ما على امتلاك صورة حسنة للمؤسسة التي يخدمونها، وذلك بالعمل المنهجي المهني، الملتزم أخلاقيا.

رغم ذلك، كانت البيانات التي يبعثها لي إلى الصحف (نيابة عن شركة روكفيلر) مليئة بالخديعة، حتى أطلق عليه المحررون لقب آيفي السام (هنا لعبة لغوية، فالاسم يشير حرفيا إلى صنف سام من نبات اللبلاب المنتشر في الولايات المتحدة) (4).

يرفض لي الكذب الصريح، لكنه لا يمانع في خلق انطباع كاذب بأن كل شيء على ما يرام، وبذلك يصبح الصحفي ورجل العلاقات العامة شريكين في تأليف الكذبة.

تعاليم العلاقات العامة تفيد: ما تقوله ليس مهما، المهم كيف تقوله.. الابتسامة والأداء الجذابان يصنعان العجائب.
محور مهنة العلاقات العامة هو تقديم حقائق منتقاة ووضعها في سياق مقصود يدفع الصحفي إلى تكوين انطباع صديق للمؤسسة.

ماذا تغير منذ ذلك الحين؟ صارت أساليب العلاقات العامة أكثر حرفية وتعقيدا، لكن التناقض لا يزال قائما.

لنتحدث عن أرامكو

خدم آيفي لي شركة روكفيلر، وكانت الأكبر في العالم.. اليوم، يخدم كثيرون شركة أرامكو التي تقول السعودية إنها الشركة الأكبر في العالم من حيث القيمة السوقية (القيمة السوقية للشركة تقدر بين تريليون وتريليوني دولار.. لا أحد يعرف بالضبط).

اليوم، هناك ثلاث شركات فقط تتجاوز قيمتها السوقية تريليون دولار: أرامكو وآبل وأمازون.. تتحكم أرامكو في جزء كبير من الاقتصاد السعودي (أكبر اقتصاد عربي)، وفي جزء كبير من سوق الطاقة في العالم، وهي شركة تملكها الحكومة. في وضع طبيعي، ستقرأ وتشاهد تقارير دورية تراقب أداء أرامكو وتحلله وتخضعه للمحاسبة الجماهيرية.. هذا لا يحدث بالطبع، فأرامكو صندوق

محكم الإغلاق، لكنك لو زرت موقع الشركة وتلقيت بياناتها الصحفية لأغرقتك بالمعلومات. فهل هذه معلومات «مهمة» و«مفيدة» و«مفهومة»؟

الإعلام العربي الذي تملكه أو تحكم أجندته السعودية على الأخص، ينقل بيانات أرامكو دون أن يوجه أية أسئلة.. «فالسلطة المطلقة مفسدة مطلقة»: هل أرامكو فوق هذه القاعدة؟ وهل من سبيل إلى الثقة بمن يديرون المال دون شفافية؟ هذه أسئلة عامة وبديهية.

لا يمكن الحديث عن إعلام حقيقي في العالم العربي دون أن تكون أرامكو من مواضيعه الأولى، فهي «الفيل في الغرفة». بيد أن أرامكو تتقن لعبة العلاقات العامة تجاه الإعلام الدولي أيضا.. أساس اللعبة هو الإغراق والإغراء وتقديم أنصاف الحقائق.

أسرى البيان

تراجعت السعودية مؤخرا (نهائيا؟ لا أحد يعرف!) عن طرح نسبة من أسهم الشركة للاكتتاب العام، وقد نقلت رويترز الخبر مجهّلا (5). تناقل الإعلام بعدئذ بيانات وتصريحات متناقضة وشحيحة عن الأمر.. التناقض والتصريحات المجهولة المصدر مؤشر على صراع ما في العادة.. مثير، أليس كذلك؟ مثير أكثر، ربما ظل الإعلام العربي -في أغلبه- أسير البيانات الصحفية.. ظل أسير أرامكو، فهل كان أداء الإعلام الأميركي أفضل؟ ليس كثيرا.

أرامكو كانت موضوع 64 قصة نشرتها مواقع الأخبار الأميركية بين 17 أغسطس/آب 2018 و17 سبتمبر/أيلول 2018.. أغلب هذه القصص كان إعادة تحرير لسلسلة أخبار/تسريبات نشرتها رويترز. وللمقارنة، كانت آبل موضوع 3388 قصة إخبارية، وكانت أمازون موضوع 2831 قصة إخبارية في الفترة ذاتها، فمقابل كل 44 قصة عن أمازون، نشرت وسائل الإعلام الأميركية تقريرا واحدا عن أرامكو، وذلك في شهر مصيري لمستقبل الشركة الأثمن في العالم (6).

هذه التغطية لم تكن شحيحة فقط، بل كانت أيضا فقيرة معلوماتيا، فالكلمات الأكثر ورودا في القصص الـ64 تقدم معلومات تعريفية أساسية منسوخة عن رويترز تحديدا، وكانت التغطية خبرية بحتة، مالية أساسا، وإيجابية في المجمل.. تغطية تشبه البيان الصحفي.

هذه هي خريطة الكلمات المفتاحية من قاعدة بيانات الإعلام الأميركي في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا:

للمقارنة، كانت أكثر الكلمات شيوعا في تغطيات آبل وأمازون تتعلق بمنتجات الشركتين، والمنافسة التي تخوضانها مع شركات أخرى، والجدل حول دورهما في السوق والمجتمع. **خرائط الكلمات المفتاحية أدناه ترسم صورة تغطية صحفية جادة وتفصيلية. الكلمات الأكثر شيوعا في تغطية الإعلام الأميركية لشركة آبل (17 أغسطس/آب 2018 و17 سبتمبر/أيلول 2018):**

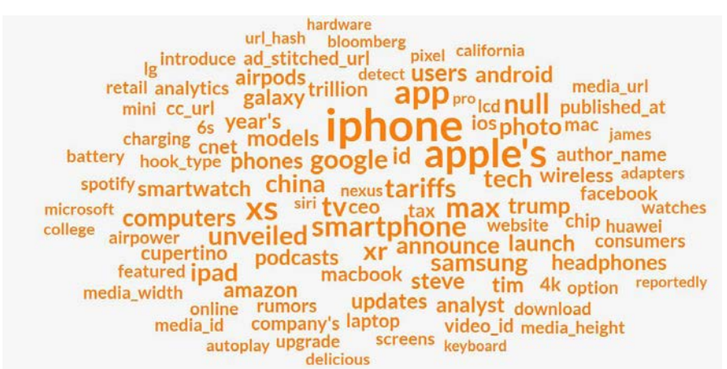

الكلمات الأكثر شيوعا في تغطية الإعلام الأميركية لشركة أمازون (17 أغسطس/آب 2018 و17 سبتمبر/أيلول 2018):

وجوه أخرى للأزمة

أرامكو ليست الشركة الوحيدة التي تصنع تغطيتها، فالعلاقات العامة مصدر أساسي لنحو 40-70٪ من المحتوى الإعلامي باللغة الإنجليزية (7)، وهي نسب تتزايد لأن الإعلام الرقمي يترسخ جماهيريا دون أن يكون له نموذج تمويلي فعال. وبذلك نجد مزيدا من الاعتماد المالي على الإعلانات التحريرية والمحتوى المرعي (Sponsored Content).

تطرح هذه الأشكال الصحفية الجديدة تحديات أخلاقية جمة على الصحفيين.. لا قواعد ثابتة بعد اليوم. لقد وجد باحثون أن ثماني مدونات أخلاقية من أصل 40 مدونة مهنية في الولايات المتحدة وفنلندا تذكر المحتوى المرعي بالاسم (8).. يحدث هذا في دول ذات تقاليد صحفية راسخة تفتخر بالفصل بين المحتوى التحريري والمصالح التجارية في مؤسسات الإعلام، فكيف هو الوضع في بلداننا يا ترى؟

تكنولوجيا الإعلام تتغير بسرعة، لكن الافتراض الذي يحكمها يبدو واحدا: لا حاجة إلى دور الصحافة التقليدي في فلترة المعلومات وصنع الأجندات.. الصحافة لوحة إعلانية تؤجر بالقطعة.

الحقيقة أن الإعلام الرقمي يتيح إمكانيات وأشكالا أكثر مكرا في الدمج بين الترويج والإعلام، وهو ما يطرح حاجة ماسة إلى إطار معياري جديد يضمن استقلالية الصحافة في العصر الرقمي (9). هذا التأثير يبدو مضاعفا في الصحافة العربية، حيث تسود ثقافة النقل على العقل، ويملك أصحاب المؤسسات الإعلامية نظرة استخدامية ضيقة الأفق.

آيفي لي (1877-1934) الملقّب بأبي العلاقات العامة - غيتي.

وبعد..

الصورة قاتمة، أليس كذلك؟

تذكّر أنك لست مسلوب الإرادة أمام التحديات.. لم يقبل المحرر الشاب في الصحيفة المحلية أن يتحول إلى ببغاء.. سافر، تعلّم، واجتهد.. فاز بالرضا عن الذات، وحقق مسيرة مهنية معقولة.. ارتضى زملاء آخرون دور الببغاء.. هم في مكانهم بعد 16 عاما يصححون الأخطاء الإملائية في البيانات التي ترد، وينشرونها كما هي، وبعضهم تحول إلى ديناصورات وآخرون إلى ضباع.

الفهم العميق للواقع الصحفي بكل تحدياته ضروري، لكنْ تذكّر أنك تفقد مبرر وجودك كصحفي في اللحظة التي تغيّر فيها ولاءك.. البيانات الصحفية مصدر للمعلومات، لكن تعلّم أن تنجو من سطوتها، وتذكّر: هذه أنصاف حقائق موضوعة في سياق يخدم من بعثها لك.. وظيفتك أن تدقق بياناتها، تستكملها وتوازنها وتضعها في السياق الذي يخدم جمهورك. مصادرك ثلاثة: البشر والوثائق والحواس..

إذا ركنت إلى واحد منها فقط تحولت إما إلى منصة أو مؤرخ أو فنان.. استعمل مصادرك كلها.. أعمل حواسك وتعلم أن ترى.. ألا تكتفي بالنظر. تعلّم كيف تراجع البيانات وتحللها وتوثقها، وابن شبكة مصادر بين المواطنين أولا، وصناع القرار ثانيا، والخبراء ثالثا.. الصحافة صنعة تشمل هذه المكونات كلها.. أتقنْ صنعتك فهي حبل نجاتك، والحل فردي مهاري أساسا.

المصادر:

1- Brechman, J. M., Lee, C., & Cappella, J. N. 2009. «Lost in Translation? A Comparison of Cancer-Genetics Reporting in the Press Release and its Subsequent Coverage in Lay Press.» Science Communication 453-474.

2- Carlson, Matt. 2014. «When news sites go native: Redefining the advertising-editorial divide in response to native advertising.» Journalism 849 - 865.

3- Marlin, Randal. 2002. Propoganda & the Ethics of Persuasion. Ontario: Broadview Press, LTD.

4- Marlin, Randal. 2002. Propoganda & the Ethics of Persuasion. Ontario: Broadview Press, LTD.

5- كلارا دينينا، أليكس لولر ومروة رشاد، 22 أغسطس/آب 8102. حصري-مصادر: وقف خطة طرح أرامكو السعودية وتسريح مستشاري العملية. لندن/الرياض: رويترز. https://ara.reuters.com/article/businessNews/idARAKCN1L71US.

6- 2018. Explorer. September 17 https://explorer.mediacloud.org/#/queries/demo/search?q=[{٪22index٪22:0,٪22q٪22:٪22Aramco٪22,٪22color٪22:٪22٪231f77b4٪22},{٪22index٪22:1,٪22q٪22:٪22apple٪22,٪22color٪22:٪22٪23ff7f0e٪22},{٪22index٪22:2,٪22q٪22:٪22amazon٪22,٪22color٪22:٪22٪232ca02c٪22.

7- Macnamara, Jim. 2014. «Journalism-PR relations revisited: The good news, the bad news, and insights into tomorrow's news.» Public Relations Review 40 (5): 739-750.

8- Werder, Kelly Page, Howard Nothhaft, Dejan Ver□i□, and Ansgar Zerfass. 2018. «Strategic Communication as an Emerging Interdisciplinary Paradigm.» International Journal of Strategic Communication 333-351.

9- Christians, Clifford G., Theodore L. Glasser, Denis McQuail, Kaarle Nordenstreng, and Robert A. White. 2009. Normative Theories of the Media: Journalism in Democratic Societies. Champaign, Illinois: University of Illinois Press.

المراسلة الجديدة

نجوان سمري

يتحتم عليّ في ظل هذا الازدحام الإعلامي الرقمي أو التقليدي أن أجد طريقاً آخر لصياغة تقريري أو قصتي كما أحب أن أسميها، إذ لا معنى للمنافسة في السرعة أو العدد، لكن الهامش واسع جداً للتميز والاختلاف والانتقائية وبلورة القصة من زوايا جديدة.

كاتبة المقال خلال إحدى تغطياتها من مدينة القدس في فلسطين المحتلة.

أين كنتِ قبل ذلك؟ خسارة أنك لم تنضمي إلينا في وقت سابق، تقاريرك جميلة، لكن انتهى عصر النجوم، نجوم صحافة التلفزيون أقصد، فنحن اليوم في زمان آخر، زمان تستحوذ عليه شاشات الهواتف الذكية، ويعج بمن يلقبون أنفسهم بالإعلاميين.. لقد تأخرتِ كثيرا يا صديقتي.

قالها صديق لي ونحن نجلس في زاوية مقهى قريب من كورنيش الدوحة، ثم تابع يسألني بشغف عني وعن فلسطين وعن إسرائيل وعن شكل العلاقة بينهما في تفاصيل الحياة اليومية، وعن اختلاف ألوان بطاقات هوياتنا نحن الفلسطينيين في الضفة وغزة والداخل، ومعنى ذلك الاختلاف في الألوان وانعكاسه على الملامح واللهجة وخيارات السياسة وحدود الدين والمدن والمخيمات في وجوه أبناء النكبة الواحدة، أبناء الانقسام الواحد، وسلطات الوهم المتعددة.

كان ينتقل سريعا من سؤال إلى آخر كصحفي بارع دون أن يدقق كثيراً فيما لا يروق له من إجابات طويلة مترددة أو ربما مملة فيقطعها، أو كمن أراد أن ينهي طرح كل ما لديه من أسئلة خشية أن تضيق بنا حدود الوقت والجغرافيا من جديد فلا تسمح لنا بلقاء آخر.. لم ينتبه صديقي حينها إلى وقع كلماته الأولى في نفسي، ولم يلتفت إلى تيهي في جدوى تقاريري التي امتدحها بل وتغزل بها، لكنه سرعان ما قال دون أن يقصد أو ربما قصد دون أن يقول: لا داعي لها.. وقد بلغني صداها بصوت أعلى، لا داعي لك.

تابع زميلي النجم الصحفي حديثه دون أن يصغي إليّ لأجيبه بصوت منخفض: ليست غايتي أن أصبح نجمة، أنا أحب الكتابة، وأحب أيضا أن أقترب من وجع الإنسان وفرحه، من اسمه وأحلامه وغضبه وخوفه وشوقه وحقيقة صوته، سأحكي القصة بتفاصيلها الصغيرة الضيقة، وأطمح أن أترك بصمة في هذا الميدان، بصمة بسيطة لعلها تُحدِث تأثيرًا ما، في مكان ما.

كان ذلك قبل عامين ونصف، أي بعد فترة قصيرة من انتقالي من عملي الصحفي خلف الكاميرا إلى الوقوف أمامها.

كانت تبدو لي المسافة التي تفصل بين هذين المكانين -أي خلف الكاميرا وأمامها- قريبة، لا سيما في عصر شاشات الهواتف الذكية، كما أطلق عليه صديقي، إذ أصبح بإمكان كل منا أن يصور الحدث، أيّ حدث، وينقله ويصف مجرياته بشكل مباشر، فكيف بشخص عمل لسنوات في المهنة ويعرف قواعدها وأسسها جيداً.

لكني أيقنت سريعاً أن الأمتار القليلة الفاصلة بين المكانين على الأرض، إنما تخفي مسافة شاسعة، وأن تطبيق تلك القواعد والمبادئ يحتاج أكثر بكثير من مجرد الوقوف أمام كاميرا ونقل الحدث بشكل مباشر.

وهنا يكمن الفرق، ليس فقط بين من يطلَق عليه في عصر الثورة الرقمية "المواطن الصحفي" وبين الصحفي، وإنما أيضاً بين الصحفيين أنفسهم. وهنا يحضرني سؤال كتبه أحد أساتذتي بالجامعة في أول محاضرة قدّمها لنا ضمن مساق "أخلاقيات العمل الصحفي"، كتب حينها باللغة الإنجليزية وبخط عريض: من هو الصحفي؟ ثم قال: هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا المساق.

أذكر أننا سخِرنا حينها نحن الطلبة من السؤال وقلنا "بسيطة".. لكن مع الوقت وبعد دراسة معمقة للموضوع أدركنا أننا فعلا بحاجة ملحة في عصر "فوضى المعلومات" إلى تعريف واضح ومحدد يجيب على سؤال "من هو الصحفي؟"، ولا أعني بذلك تعريفا اسميا أو لقباً تمنحه مؤسسة أكاديمية أو عملية، بل تصنيفاً يميز من هو الصحفي وفقاً لمبادئ ومعايير أساسية محددة، مع الأخذ بعين الاعتبار الدقة والتحري من المعلومة والمهنية والانضباط والالتزام بأخلاقيات العمل الصحفي والحياد أو على الأقل التجرد من العاطفة قدر الإمكان.

هذه الضوابط والمحددات لا يمكن في اعتقادي لأي "مواطن" أن يملكها أو يتقنها، وهو بكل الأحوال ليس مجبراً على ذلك، بخلاف الصحفي، وهنا تعمدت ألا أذكر مبدأ السرعة في نقل الخبر رغم أهميته، فلا مجال اليوم أن ينافس الصحفي أي شخص تزامن وجوده في قلب الحدث ولديه كل الإمكانيات التقنية لنقله مباشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لكنه فعليا يساعدني أنا "الصحفية" على تلقي المعلومة والصورة لصياغة قصة متكاملة متشابكة مع خيوط أخرى، لوضعها في سياق مترابط وتقديمها بشكل مهني مختلف.

ولعل في ذلك -حسب رأيي- شكل علاقة هو الأمثل بيني وبين "مواطن صحفي"، له السرعة ولي بقية ضوابط العمل الصحفي الملزمة، وهي علاقة غير تنافسية، بل تكاملية مع السعي الدائم من جانبي للتطور ومجاراة هذه الثورة الرقمية.

وللمثال لا للحصر، لا يمكنني أنا -في حالة الصحفي الفلسطيني- أن أصل إلى منزل تهدمه قوات الاحتلال قبل صاحبه، ولا إلى مواجهات اندلعت قبل المشاركين فيها، ولا إلى شخص استشهد قبل مَن تَصادفَ مرورُه بجانبه. وبالتالي يتحتم عليّ في ظل هذا الازدحام الإعلامي الرقمي أو التقليدي أن أجد طريقاً آخر لصياغة تقريري أو قصتي كما أحب أن أسميها، إذ لا معنى للمنافسة في السرعة أو العدد، لكن الهامش واسع جداً للتميز والاختلاف والانتقائية وبلورة القصة من جانب وزوايا جديدة، دون التخلي عن عنصر الوقت بحيث لا تفقد القصة أهميتها زمنيا، وهي معادلة على الصحفي أن يعرف جيدا كيف يحافظ عليها ويطوعها لصالحه.

وهنا يكمن الفرق أيضا بين أن تكون نجما صحفيا معروفا، وقد انتهى هذا العصر فعلا، وبين صحفي جديد يمكنه أن يترك بصمة إعلامية دون أن يسطع نجمه، ودون حتى أن يحفظ الناس اسمه. فبعد مضي أربع سنوات على عملي أمام الكاميرا، تصالحت مع ما قاله صديقي الصحفي.. نعم، لن أصبح نجمة، لكني أبداً لم أتأخر، وقد صرتُ أبتسم وأشعر بالرضا كلما سمعت الناس في الميدان يرددون من حولي: "هاي شيرين، لا.. أظن جيفارا، لا لا.. هذه التي غطت أحداث الأقصى.. نعم نعم هذه المراسلة الجديدة في الجزيرة، نسيت ما اسمها..".

مواطن يصور أفرادا من جيش الاحتلال الإسرائيلي يتفحصون جثة فلسطيني قالوا إنه حاول طعن أفراد من الشرطة، حيث العلاقة بين المواطن الصحفي والصحفي -بحسب كاتبة المقال- تكاملية. تصوير: عمار عوض - رويترز.

من الرباط إلى كابل.. قصة مراسل

يونس آيت ياسين

أحيانا نعتمد على شهود العيان لترجيح رواية على أخرى، وقد تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دورا حيويا في إعطاء رواية أخرى قد لا تكون محايدة بالضرورة، لكنها توفر في طياتها تفاصيل -صورة أو فيديو- قد تدعم صحة إحدى الروايات.

لأسباب قد يطول شرح تفاصيلها، رفضت السلطات المغربية منحي رخصة العمل كمراسل لقناة الجزيرة في المغرب.. واقع جعلني لما يقارب السنتين مراسلا صحفيا مع وقف التنفيذ، قضيت معظم هذا الوقت في غرفة الأخبار بالدوحة على أمل أن يتغير مزاج صاحب القرار، لكن تلك الآمال تحولت تدريجيا إلى أوهام.

بالنسبة لشخص قضى سبع سنوات مراسلا ميدانيا، كان العمل في غرفة الأخبار تجربة مختلفة، وستصبح أكثر اختلافا وتشويقا عندما تكون هذه التجربة في أكبر غرفة أخبار بالعالم العربي.

إذا كان اليوم هادئا إخباريا، فتلك فرصة للتعلم بهدوء كيف تصنع النشرة الإخبارية، كيف تناقش المقترحات في اجتماع التحرير وكيف تصاغ العناوين، وكيف ترتب الملفات الإخبارية، أما عندما يحدث زلزال إخباري في مكان ما فتلك قصة أخرى. رأيت من موقع الشاهد والمساهم كيف تصنع التغطيات الخاصة، ترى منتجي المقابلات يسارعون إلى تأمين الضيوف، تقرأ بريد المراسلين على الأرض الذين يحاولون إرسال المواد والأخبار أولا بأول، ثم تشاهد الزملاء في قسم التواصل الاجتماعي يحاولون التثبت من الصور المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي للتيقن من صدقيتها، قبل أن تجد طريقها إلى شاشة يسهر عليها منتجون يزاوجون بشكل بديع بين الدقة والسرعة المطلوبة.

كان رصيدي من الدروس والخبرات يتضاعف يوميا في غرفة أخبار الجزيرة، لكن الشوق استبد بي إلى الميدان، فأنا قبل كل شيء مراسل، ولا شيء يبعث على الحماس كأن يجد المراسل قصة تستحق أن تروى فينسج تفاصيلها ويسرد أحداثها، ويعرّف بجانب آخر من جوانب التجربة الإنسانية على ظهر هذا الكوكب الذي نتشاركه جميعا، بعيدا عن حدود مصطنعة وعصبيات زائلة.

أثناء انتظار وصول تعزيزات من الجيش الأفغاني لطرد مقاتلي حركة طالبان من الأطراف الغربية للمدينة التي سيطروا عليها لأيام.

حنين إلى الميدان

وبما أن العمل في بلدي كان محرما عليّ، اقترحت على مديري في العمل أن أسافر إلى أفغانستان.. وافق الرجل على الفور، وبدأت أحضر لرحلة أردت لها أن تكون استثنائية وقد كانت.

لا أستطيع أن أنكر أن إحساس الخوف قد راودني غير مرة، كما أن زوجتي لم تكن متحمسة بشكل كبير لفكرة السفر إلى بلد لم يعرف الأمن منذ أربعين عاما.. الخوف إحساس طبيعي ومفيد، ففي النهاية مخاوفنا -حتى التي لا نود الاعتراف بها- تحدّ من سلوكيات قد تكون متهورة ومضرة.. الأمر غير الطبيعي على الجهة الأخرى هو أن يستسلم الإنسان لمخاوفه ويمكّنها من ناصية أمره، هنا يصبح مصير الإنسان مرهونا بخوفه مما يكره، أكثر من إقباله على ما يحب.

بعد رحلة طويلة ومرهقة وصلت كابل.. بدا الطقس غاية في اللطافة مقارنة بصيف الدوحة الحارق، لكنه كان مألوفا شديد الشبه بطقس المغرب.. استقبلني الزملاء في مكتب كابل بشكل دافئ ولهم ينسب كثير من الفضل في نجاح هذه التجربة.

لم تمهلني التطورات الأمنية أي مجال لالتقاط أنفاسي، ففي غضون أقل من أسبوعين على وصولي، غطيت عددا من التفجيرات في أنحاء من العاصمة كابل وكافة الولايات. مكتب الجزيرة في أفغانستان يعد مرجعا عالميا للأخبار، فقد تأسس المكتب منذ أكثر من عقدين، وكان زملاء من الجزيرة يغطون أحداث البلاد قبل الغزو الأميركي لأفغانستان بسنوات، وتميزوا في التغطية بعد الغزو وما لحقه من أحداث، وأصبحت القنوات العالمية تقدم لمشاهديها ما ينتجه المكتب نقلا عن الجزيرة.

وهذا التاريخ العريق من التواجد في الميدان صاحبه نمو شبكة مصادر المكتب، وهو ما مكننا من الوصول إلى الخبر في أحيان كثيرة قبل حدوثه، بل والتأكد من صحته عبر مطابقته بمعلومات تأتينا من مصادر أخرى.

في قلب المعركة

في أفغانستان، هناك جبهات ملتهبة بشكل شبه يومي، وعادة ما نغطي هذه الأحداث من مكتبنا في كابل، لكن أكبر حدث شهدته وقع بعد وصولي بأقل من أسبوعين.
في الساعات الأولى من فجر الجمعة 10 أغسطس/آب، هاجم أكثر من ألف مقاتل من حركة طالبان مركز مدينة غزني عاصمة الولاية التي تحمل الاسم نفسه.

هاجم مقاتلو الحركة مراكز الشرطة والجيش ومقر المخابرات، ودارت أمام هذه المقرات معارك طاحنة خلفت مئات القتلى من الجانبين، كما لم يسلم المدنيون من تداعيات الهجوم حيث اندلعت المعارك أيضا في المناطق المأهولة.. أسواق بأكملها احترقت، وقطعت خدمات الكهرباء والهاتف، وتوقفت خدمات الإذاعات المحلية.
منذ اليوم الأول لاندلاع الأحداث حاولنا التحرك نحو المدينة التي لا تبعد عن كابل سوى 150 كلم، لكن الطريق كانت قد قطعت بدوريات لحركة طالبان، وبعد تنسيق مع مسؤولي الجيش الأفغاني وافقوا على اصطحابنا معهم في إحدى المروحيات المتوجهة إلى المدينة.

وصلنا غزني بعد ثلاثة أيام من المواجهات.. كانت المحلات مغلقة على امتداد شوارع المدينة.. تواجد كثيف لقوات الجيش الأفغاني لم يُقنع السكان بأن الوضع تحت السيطرة.. مستشفى المدينة لم يكن بحال جيدة كذلك، فقد استقبل المئات من الجرحى والقتلى خلال أيام قليلة، وهو ما كان فوق طاقة المستشفى وطاقمه.

وصلنا ساحة المعركة، تقدمنا حتى الخطوط الأمامية للمواجهة، في وقت كانت الاشتباكات فيه لا تزال مستمرة في الأطراف الغربية للمدينة، ورافقنا الجيش في دوريات ليلية.

كنا في مرافقة الجيش الأفغاني في معظم الوقت، وعند الأسئلة التي نطرحها لاحظنا أن هناك بعض المعلومات التي لم تكن تُمنح لنا، أو كانت تُقدّم لنا بصورة لا تعطي الحقيقة كاملة. ولا أستطيع أن أنكر دور زميلي المنتج حميد الله محمد شاه الذي أكمل عقده الأول مع الجزيرة في مكتب كابل، والدور الذي لعبه في تدقيق كافة المعلومات التي تصلنا من كافة المصادر والتأكد من مدى مطابقتها لروايات المصادر الأخرى.

هذه في حد ذاتها لم تكن مهمة سهلة، فالحكومة الأفغانية تصرح بروايتها حول ما حدث، ثم لا تلبث حركة طالبان أن تُصدر عبر المتحدث باسمها بيانا تعطي فيه رواية مخالفة تماما.

في بعض الأحيان يمكن الاعتماد على شهود العيان لترجيح رواية على أخرى، وأحيانا تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دورا حيويا في إعطاء رواية أخرى قد لا تكون محايدة بالضرورة، لكنها توفر في طياتها تفاصيل -صورة أو فيديو- قد تدعم صحة إحدى الروايات. أما فيما يتعلق بأرقام الضحايا، فلا يمكن إلا تقديم الأرقام كما تتبناها كل جهة ونسبة ذلك إليها، والاعتماد على المصادر الصحية فيما يتعلق بأرقام الضحايا المدنيين.
خرجت من غزني وقد كانت أقرب نقطة مواجهة بلغتها منذ وصلت أفغانستان.. عاد الهدوء بطيئا إلى المدينة وبدأت الأسواق تفتح تدريجيا، لكن الرعب الذي سكن النفوس بسبب أحداث تلك الأيام سيحتاج وقتا أطول لكي يتبدد.

حصاد التجربة

تعلمت من العمل في أفغانستان أن الحياة قطار لا ينتظر أحدا.. وجدتُ بين الناس إقبالا على الحياة كأن الغد غير موجود، في بلد أنهكته الحرب الأهلية والأطماع الأجنبية وموجات غزو متكررة.. في الأسواق والشوارع لا يكاد يظهر تأثير لهذا إلا إذا استوقفتَ أحدا وسألته.

في هذا البلد جيل جديد من الشباب، جيل حي يتمتع بعنفوان وإدراك عميق لواقعه.. شباب يتفاعل مع قضاياه وإن كبلته معيقات الواقع، لكن معطى أن يكون في أفغانستان التي تعُدّ 35 مليون نسمة أكثرُ من عشرة ملايين مستعمل للإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وما توفره هذه النوافذ من إطلالة على المعارف والعلوم وما ابتدعه البشر من تقنيات.. هذا المعطى وحده يدفع للاعتقاد بأن سيادة هذا الجيل بأفكاره الجديدة المعاصرة مسألة وقت لا أكثر.

على المستوى الشخصي كانت أفغانستان الأرض التي نقلتُ فيها الأخبار باللغة الإنجليزية.. انتصرت على شكوكي ولبيت طلبا من قناة الجزيرة الإنجليزية للعمل معهم، وقد كانت لحظة فارقة في تاريخي المهني، فتحت لي آفاقا أرجو أن تكون رحبة، رحابة الحضن الذي استقبلتني به هذه الأرض الطيبة.

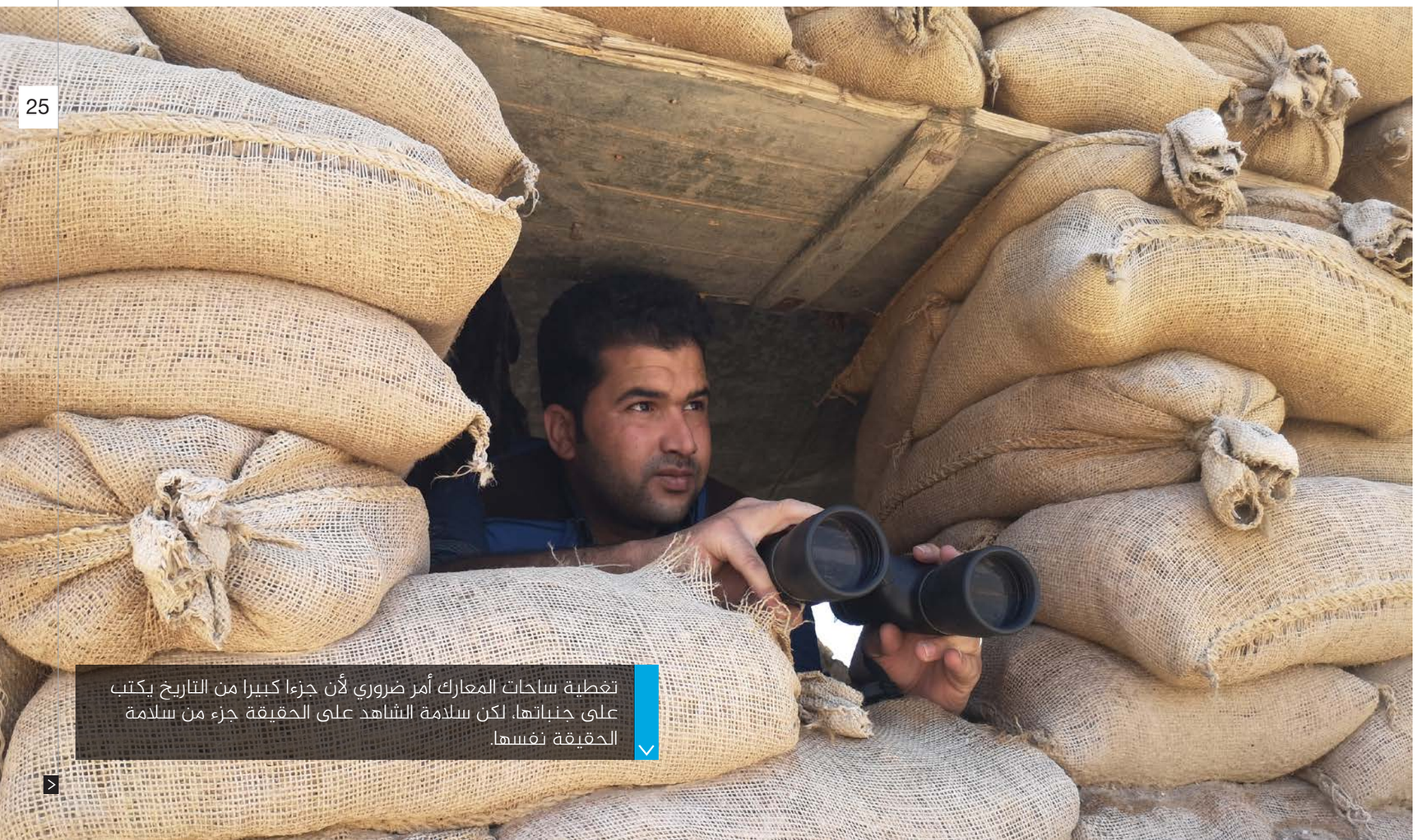

تغطية ساحات المعارك أمر ضروري لأن جزءا كبيرا من التاريخ يكتب على جنباتها، لكن سلامة الشاهد على الحقيقة جزء من سلامة الحقيقة نفسها.

دع الآخرين يتحدثون

عمار الشقيري

قد يحصل صحفي الديسك على قصة من خلال مقابلة عبر الهاتف، لكن القصة الأكثر إثارة توجد هناك، في الأحاديث والثرثرات الطويلة مع الناس على الأرض، وما يُمكن لصحفيِّ الميدان مُعاينته من تفاصيل صغيرة تسحبه إلى قصص أخرى.

أربعة أعوام تقريبا، وأنا أجلس في غرفة لأكتب وأحرّر الأخبار والتقارير، لم أشاهد خلالها شيئًا على الأرض إلا بعد ترك المكاتب والتوجه مضطرا للعمل كصحفي حرّ (فري لانسر) لا يجتمعُ صباحا ليُناقش مع صحفيين ومحررين ما يجري في البلاد، وإنما يبحث عن قصةٍ على الأرض تستحق أن تُروى.

وجدتُ قصّةً عند سكّان البلدات الحدوديَّة بين الأردن وفلسطين المحتلة في يناير/كانون الثاني 2018، وببحثٍ في أرشيف الصحافة وجدتُ تقارير كثيرة عن الموضوع مكتوبةً بأفضل ما يكون، ومع كل الشروط التي يحتاجه التقريرُ ليكون تقريرا، لكن مع صفةٍ إضافيّة؛ لا قصص وحكاياتٍ في هذه التقارير، لا صور من هناك، لذا قرَّرت البدء برواية قصة "نقاط الموت.. الحرب غير المعلنة"، وهي حربٌ يشنها أردنيون أفراد بين فترةٍ وأخرى على إسرائيل عبر نهر الأردن. بعد خمسة أشهر من العمل على القصة، نسيت وبلا رجعةٍ كل ما أنجزتُه من خلف المكتب، إذ لم يكن في الحقيقة كل ذاك العمل غير ثرثرات ومواد ميتة تصلح لوضعها في الأرشيف بين الغبار وكل الأموات طيبي القلوب.

خلال مظاهرات الأردن الأخيرة في يونيو/حزيران 2018، أمام مجمّع النقابات المهنيّة بمحافظة إربد - تصوير عمّار الشقيري.

القصة في مكان آخر

قبل العمل على التقرير، قدم المسؤول -وهو صحفي يعرف الكثير عن العمل في الميدان- بعض النصائح مثل: اصطحاب أحد منفذي العمليات المفرج عنهم بعد أسر لسنوات طويلة، وإجراء المقابلة معه قريبا من منطقة العملية.. لا مقابلات مكتبية أو بعيدة عن الأرض، ودع الآخرين يتحدَّثون. على هذا الأساس، وُلدت الحكايات واحدةً بعد أخرى، وقادت التقرير إلى مساحات منسيَّة؛ السيادة على الأرض الأردنية، مراوغات مُنفذي العمليات عبر الحدود، حركة كاميرات نقاط جيش الاحتلال الإسرائيلي، أسماء بعض المناطق التي نفذت منها العمليات التي تختلف عن مسميات خرائط غوغل والدوائر الرسمية.

قصص قصيرة في القصة الكبيرة

لم تتوقف القصص عن ولادة بعضها لبعض، ومنذ العام 1967 وحتى هذه الأيام، يتذكر أهل بلدة حدودية قصة اقتحام وحدة قوات خاصة إسرائيلية للأرض الأردنية عام 1970، أي بعد انتهاء الحرب بسنوات.. معلومات لم تُذكر في التاريخ أو في تقرير سابق، وأخرى غير موجودة أصلا في معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية.

عُدنا يومها بقصص داخل القصة الأساسية "نقاط الموت.. الحرب غير المُعلنة مع جيش الاحتلال الإسرائيلي"، وهي النقاط التي شهدت الاشتباكات بين مجهولين أفراد وبين الجيش الإسرائيلي على طول الحدود منذ هدنة 1967 وحتى العام 2018.

لدى الناس رواية أخرى غير الروايات الرسمية على الدوام، قد يحصل صحفي الديسك على قصة من خلال مقابلة عبر الهاتف، لكن القصة الأكبر والأكثر إثارة، ستكون هناك في الأحاديث والثرثرات الطويلة مع الناس على الأرض، وما يُمكن لصحفي الميدان مُعاينته من تفاصيل صغيرة تسحبه إلى قصص أخرى.

أخطاء مقابلات الهواتف

خلال عمل الروائي الكولومبي غابرييل ماركيز على تقرير صحفي عن لاعب كرة القدم البرازيلي سيباستيان بيراسكوتشيا لجلب قراء إلى المجلة الثقافية حديثة التأسيس "كرونيكا" إذ كان الناس مولوعين بالرياضة هناك، اطَّلع من مكتبه على العديد من التقارير، وكان أفضلها لخيرمان باراغاس.

أجرى ماركيز محادثة طويلة مع اللاعب، ووصفه بأسلوبه الروائيّ المولع بالتفاصيل، كأفضل ما يكون بعد مكالمة مطولة معه، وعرَّفه بأنه من أصول إسبانية، من إقليم الباسك، وأطال ماركيز التحليلات بناء على هذه المعلومة التي استوحاها من اسم اللاعب، دون أن يُشاهد له أي مباراة في كرة

مُنفذ إحدى العمليات ضد الجيش الإسرائيلي بداية التسعينيات، الأسير المحرر سُلطان العجلوني (يسار)، مع معد التقرير عمّار الشقيري، تصوير غسّان فرج.

القدم، أو يلتقيه على أرض الواقع.

لقد كادت تلك الحادثة أن تطيح باسم ماركيز في عالم الصحافة، إذ لم يكن اللاعب بيراسكوتشيا غير "زنجيّ غامق من أفضل سلالة أفريقيّة"(1). بعد نشر التقرير، بعث قارئ رسالةً إلى ماركيز يقول له فيها إنه صحفي رياضي غير قادر على التفريق بين "كرة وقطار".

تذكرتُ هذه الحادثة الطريفة، وتذكرت معها كل الأخطاء أيام العمل في ديسك الأخبار، التي يُمكن من خلالها أن يوجه لي قارئ ما مقولة مشابهة في المستقبل، ولْيسترْنا الله كي لا يكتشف أحد تلك الفظائع التي كنّا نقوم بها، كأن نواصل القول على العادة إن حريقًا مفتعلاً أحدثته طلقات التنوير الإسرائيلية على الحدود الأردنية بالبيارات لأنَّ إسرائيل تتسلّى في الليل، في حين كان أحدهم يقطع النهر عبر هذه البيارات كثيفة الأشجار ليُواجه بمسدس أو رشاش دوريّةً لجيش الاحتلال، فيضيء الجيش المنطقة بطلقات التنوير ويحرق تلك البيّارات بحثًا عن المنفذ وإشعال حربٍ معه.

أين تُوجد القصص؟

القصّة التي تُعاين تفاصيلها على الأرض، لا القصة التي تُعرض عليك، هي القصة الأفضل. عند صحفيي الميدان يروون التفاصيل ويروون القصص، بينما في المكتب تُعرض التفاصيل على الصحفي ليكتب منها قصّة، وليس له ترف الاختيار إلا في طريقة العرض وبعض التغييرات الثانوية.

قصص المكتب تعتمد في البداية على ما يقدمه الآخرون من مادة مكتوبة: أخبار، كتب، تحليلات، دراسات. أما على الأرض فتعتمد القصّة على ما تراه وتسمعه، لا ما يُراد لك أن تسمعه. ويُوفر العمل على الأرض ترف المشاهدة، واستبعاد تفاصيل لو كنت في المكتب لظننتها مسلمات، في حين تكون على أرض الواقع مستحيلة الحدوث أو العكس.. يبدأ الفرق إذًا في ما تراه على الأرض، لا ما يُراد لك أن تراه.

تطوير أساليب تعريف وهروب

عودة لمنفذي العمليات عبر نهر الأردن.. رافقني مصوّرٌ ودليلٌ، ورأيتُ كيف طوَّر المصور -الذي لا يعمل مع مؤسسة- منظومةَ حذرٍ شديدة التعقيد تبدأ من طريقة التعريف بنفسه للناس القاطنين على الحدود ليأخذ صورةً أو مشهدا قصيرا، وطريقة انسحابه حين يرفض أحدهم وجوده في المنطقة، بالإضافة إلى قدرته على إخفاء مادته أثناء التصوير، ومراوغته في تصوير بعض النقاط العسكرية الإسرائيلية الحدودية.

دخلت معه أثناء العمل على التقرير قرب النقطة صفر على النهر في نقاش حادٍّ حين رفض تصوير نقطة عسكرية إسرائيلية على الحدود، قال يومها: من سيقنع الجنود على الطرف الآخر حين أرفع الكاميرا أنها ليست قاذف "آر.بي.جي".. هم لا يعرفون أنني مصوّر، أو أن مصورًا موجود هنا، ليس معنا إذن تصوير من مؤسسة نعمل بها، ولا تنسيق بين الطرفين. سيكون من الصعب جدا أن تدهم القوات الأمنية مؤسسة صحفية حيث يعمل صحفيو الديسك، لكن من السهل جدا أن يدهم عنصرُ أمنيٌّ واحدٌ أو مواطنٌ غاضبٌ صحفيَّ الميدان، ويُصادر أو يُتلف جهده، وبعد ذلك يعتذر عن الخطأ، ويكون جهد أيامٍ طويلة قد ضاع إلى غير رجعةٍ.

تحت هذه المخاطرة، ستجد عند صحفي الميدان الكثير من طرق وأساليب الهروب وإخفاء المعلومات الأولية والاحتفاظ بها، بل ربما أيضًا ذاكرة جيدة يُستعان بها لحفظ الأماكن ومختصر للمقابلات.

آخر يوم في العمل الميداني على تقرير نقاط الموت، مررنا من الشمال نزولا إلى الجنوب بمحاذاة نهر الأردن، ورأينا على الأرض الكثير من القصص التي رواها قاطنو تلك المناطق من حرب المياه بين الأردن وإسرائيل، وأبقار الجولان التي بقيت حبيسةً تتكاثر محصورة بين شيكين منذ العام 1967. ولعلّ القصة الأبرز من هناك، التي يجري الحديث عنها، هي تجارة البشر والمخدرات وتهريب السلاح في حدودٍ ظلَّ الكلّ يظنها هادئةً وتخضع لاتفاقيَّة السلام، لكنَّها برواية الناس البسطاء وما عاينّاه على الأرض كانت حدودا لم يتوقف فيها النشاط حتى هذه الأيام.

السياج الحدودي بين الأردن وإسرائيل المحتلة شمال إيلات.
تصوير: أمير كوهين - رويترز.

كيف يكسر الصحفي هيمنة وكالات الأنباء؟

أحمد حاج حمدو

تحتاج غرف الأخبار للتقارير الداخلية في تغطيات الملفات الساخنة ذات الأحداث المتسارعة مثل الملف السوري. الصورة من مدينة معرة النعمان السورية بعد غارات جوية. تصوير: خليل عشاوي - رويترز.

يعمل الصحفي السوري محمد كناص مشرفَ تحرير لمكتب الجزيرة - سوريا، وفي كل صباح يصل فيه كناص إلى العمل بغرفة الأخبار، تتوارد إليه أخبار عاجلة عن مجزرة أو معركة في مدينة من المدن السورية. وهنا تبدأ مهمته في بلورة أسرع قصة عن الحدث، لا سيما أن الطائرات حينها لا تكون قد غادرت أجواء مكان المجزرة أو المعركة، وقد يكون المراسل على الأرض بانتظار اقتناص اللحظة الآمنة لتصوير مسرح الحدث أو الوصول إليه لتصوير وقفته في ختام التقرير (بيس تو كاميرا).

خلال ذلك الوقت، كان على الصحفي كناص أن يشبع حاجة المشاهد لمعرفة ما حدث من خلال مصادره على الأرض وما يصله من صور، فهو صحفي يعمل في غرفة أخبار تلفزيونية، وفي الوقت نفسه لديه مصادره على الأرض التي تمكّنه من إنجاز تقرير متكامل من داخل غرفة الأخبار.

يُعرف التقرير الذي يعمل عليه محمد ريثما ينهي المراسل قصّته بالتقرير الداخلي المعروف بتقرير «إن هاوس»، وهو تقرير يعدّه المحرر الموجود داخل غرفة الأخبار، وغالباً ما يستقي معلوماته وصوره من وكالات الأنباء بدرجة أولى، ثم من مصادر المحرر والمراسلين الذين يتعاونون معه على الأرض.

عن هذا الموضوع، تحاور «مجلة الصحافة» في هذا التقرير الصحفيَّ محمد كناص الذي سبق له أن عمل منتجاً وصحفياً في قناة «الجزيرة»، وقبلها في مؤسسة «النهرين» الإعلامية، كما عمل منتجا لقنوات «أورينت» و«العربية» و«الآن».

في حماية المراسل على الأرض، فكثيراً ما يتعذر وصول المراسل إلى مسرح الحدث لأسباب، أمنية فتبرز هنا أهمية التقرير الداخلي الذي يشكل وجبة إخبارية كاملة المواصفات ومشبعة لحاجة المتلقي، وكثيرا ما تكون صور هذا النوع من التقارير مؤثرة، إذ يُلتقط أغلبها

السوري، مضيفاً: «أذكر حتى قبل برود الجبهات العسكرية في عموم سوريا، أني كنت أجري تحديثات طيلة اليوم على التقرير، وهذا أمر يتعذر على المراسل على الأرض، إذ من الصعب عليه زيارة مسرح الحدث مرات عدة في اليوم، خصوصا إذا ما كان المسرح عسكريا».

نفسه، أكون قادراً على تقديم قصة أسرع من قصة المراسل، وقصة بعدسة أوسع وبكتابة مؤثرة لأن الصور التي تردني حينها تكون ساخنة ومؤثرة، ولأني أعمل في جو أكثر راحة من جو المراسل على الأرض المشوب بضغوط الوقت والخوف والتوتر، ناهيك عن

كسر هيمنة وكالات الأنباء

تُستقى معظم المعلومات التي يضمّنها الصحفي في التقرير الداخلي، من الأخبار والمعلومات والمواد المصورة الجاهزة التي تبثّها وكالات الأنباء المحلية والإقليمية والعالمية، أو

إلى متلقٍّ يواجه ما ترغب الوكالات في ترويجه، ويُخفى عنه ما تريد إخفاءه.

ويرى الصحفي محمد كناص أن الوكالات تكون شريكة في تحرير التقرير من خلال الصور وزواياها، ومن خلال المقابلات المرافقة للتقرير، لكنه أشار إلى أنّ الصحفي يكون غير مرتاح لما تتيحه هذه الوكالات، قائلاً: «كصحفي، بكل تأكيد سينتابك شعور بأن وكالة الأنباء قد أخفت عنك شيئاً، أو أجبرتك أن تكتب فقط لما أتاحته لك من صور».

يشعر كناص بحرية عدم التعامل مع وكالات الأنباء أحيانا، لأنه يملك مصادر، وهو يعمل في غرفة الأخبار، ويحصل على قصّته الإخبارية من خلال مصادره، ويكون حراً في التعاطي مع الصورة التي يجدها مهمة.. يقول إن «وكالات الأنباء العالمية ليس لها مراسلون على الأرض، إنما تعتمد على صحفيين مستقلين (فريلانسر)، في حين أنني كصحفي عامل في الملف السوري المعقد، أعتمد على عدة مصادر وعدة كاميرات عن الحدث الواحد، فضلا عن مراسلينا على الأرض».

وأوضح أن حضور المراسل يكسر هيمنة أي وكالة أنباء، وفي هذه النقطة تحديدا، تتشكل المعادلة التالية: «بقدر ما يكون للوسيلة انتشارها من خلال مراسليها تكون سيدة نفسها في القصة الخبرية، وبقدر ما تكون الوسيلة معتمدة على

يعمل المراسل الصحفي في غرفة الأخبار على التواصل مع مصادره والحصول على مواد تمكّنه من بناء جسم التقرير. الصورة من غرفة أخبار قناة الجزيرة. تصوير: فادي الأسعد - رويترز.

احتواء مرن للتدفق الإخباري

يقول كنّاص: «إن هذا النوع من التقارير، يساعد كثيراً

في اللحظات الأولى من الحدث بكاميرا مواطنين عاديين أو نشطاء، قبل أن تلتقطها كاميرا المراسل».

ويتحدث كنّاص عن حاجة غرف الأخبار للتقارير الداخلية في تغطيات الملفات الساخنة ذات الأحداث المتسارعة مثل الملف

ويشير إلى أن السرعة ليست وحدها الدافع لإعداد التقرير الداخلي، بل تكمن أهميته في ترميم وتوسيع العدسة حول المشهد أو الحدث.. «عندما أكون في غرفة الأخبار، وأتلقى الأخبار من مصادري المتنوعة على الأرض، وتصلني صور متنوعة أيضاً عن الموضوع

انتقال مشاعر الناس إليه بحكم العدوى».

ومن هنا تكمن أهمية وجود المراسل الصحفي في غرفة الأخبار، الذي يعمل على التواصل مع مصادره والحصول على مواد تمكّنه من بناء جسم التقرير.

تلك التي ترسلها إلى وسائل الإعلام التي تشترك فيها. تساهم تلك المعلومات التي تبثّها وكالات الأنباء -إلى حدٍّ كبير- في بناء جسم التقرير، ولكنّها في المقابل تشترك في تمرير الأجندة التي تريد وكالات الأنباء تمريرها إلى الصحفي، وبذلك يتحول الأخير

وكالة الأنباء تكون رهينة لها». وأكمل أن المراسل هو عين الوسيلة الإعلامية التي تكون أكثر اطمئنانا لقصة تصلها من مراسلها، من قصة تصلها من وكالة الأنباء.

بين الداخلي والميداني

غالباً ما يختلف الصحفيون حول مدى أهمية كل من التقرير الداخلي والتقرير الميداني. وبرأي كناص فإن لكل عمل خصوصيته، فالصحفي في غرفة الأخبار ما زال يطور من مهاراته ويستفيد مما قدمته شبكات التواصل الاجتماعي التي باتت مصدراً لا يستهان به، وكثيراً ما كان يتفوق على المراسل الميداني في صناعة العديد من القصص، إذا كان يملك قائمة ثرية من المصادر والأفكار.

يستحضر كناص أحد المواقف، عندما تلقّى خبر إسقاط الدفاعات الجوية التركية لطائرة روسية، ووصله فيديو قبل أن يصل إلى أي صحفي موجود على الأرض، وتلك الحادثة كادت تشعل حربا بين أحد أكبر بلدان حلف الناتو مع روسيا وريثة حلف وارسو سابقاً. وتابع: «حينها وصلتني الصورة من مصدر موجود على الأرض، ولا تزال تلك الصورة تُستخدم حتى اللحظة كلما ورد الحديث عن إسقاط الطائرة، إضافةً إلى أنّني أنجزت قصصاً وتقارير من مناطق النظام في سوريا (وهي مناطق يحكم النظام قبضته الأمنية عليها) بالاعتماد على مصادر فيها، وهي مناطق لا يستطيع المراسل أصلا الوصول إليها».

يرفض كنّاص الدخول في مفاضلة بين التقرير الداخلي والميداني، موضحاً أن حضور المراسل الميداني في نهاية التقرير وتوقيعه الفيزيائي عليه يعطيه مصداقية عالية جدا، في حين أن التقرير الداخلي كثيراً ما كان سباقاً ومؤثرا أكثر من تقرير المراسل على الأرض. خذ مثالا على ذلك الفيديوهات المسربة، أو صور اللحظة الأولى للقصف، أو الصور الأولى من الانفجار.. هل شاهدت تقريرا يبدأ بصور مأخوذة بكاميرا أحد رجال الدفاع المدني؟ بكل تأكيد هي صورة وفاتحة تقرير مؤثرة وغنية بالعامل الخبري، وهي صورة لا تطالها كاميرا المراسل.

أفضل من كاميرا الوكالة

يُعطي الصحفي كناص بعض النصائح في إعداد التقرير الداخلي من خلال عمله المتراكم، موضحاً أنّه يفضّله في القصص ذات الطابع الإنساني لأنه أفضل بمرات من كاميرا الوكالة. وهذا النوع من التقارير يكون مهما ومؤثراً في ملفات ومواضيع معينة، منها الملف السوري الساخن ذو الطبيعة المعقدة والمتسارعة بشكل غير متوقع، كما أنّه مهمٌّ في المواضيع التي تتوفر فيها المعلومات ولا تتوفر فيها الصور الكافية، ومهمّ في تكوين محاور البرامج، وفي التقارير التي تكون عبارة عن قراءات لمشهد أو مسرح حدث. وكثيرا ما اعتُمِد على هذا النوع من التقارير في قراءة خطابات الزعماء التي انتفضت شعوبها ضدها، وهو الملاذ الأول لأي تسريبات.

وختم بأن الاجتهاد في التقارير الداخلية مفتوح، وهو بكل تأكيد مكان رحب يتحرك فيه الصحفي لو أراد، وهو نوع يعتمد على مهارات الصحفي في التواصل وامتلاك المصادر وسرعة الحصول على المعلومة، ويتطلب قاعدة من المعلومات أو الأرشيف الخاص بالصحفي، ويحتاج إلى الصبر والقدرة على العمل تحت شبح اقتراب موعد البث.

وشدّد كناص على ضرورة أن يعزز الصحفي في غرفة الأخبار مصادره بمعلومات واردة من مراسل الوسيلة، لأن ذلك سيجعل التقرير أثرى وأكثر وتأثيرا، ومدعماً بالتفاصيل الخبرية التي يسعى المتلقي إليها لإشباع حاجته إلى المعرفة.

الصحفي السوري محمد كنّاص

المدقق اللغوي.. شرطيّ النصوص

خالد سليم

الصورة الجميلة من المعاني، تحتاج إلى إطار مناسب من اللغة. الوجه المليح يحتاج إلى ما يلائمه من «المكياج»، كي يبدو أخّاذًا. المعنى واللغة، قطار يعرف وجهته، على سكة حديد لا عوج فيها ولا كسر.

قبل 23 عاما، حملت قلما أحمر للمرة الأولى، وبدأت أمرّره على أوراق بيضاء، عليها أخبار ومقالات وتقارير، لأتسقّط أخطاء المنضّدين وعيوب الصحفيين ومزالق الكتّاب المكرّسين.

كنا في الجامعة، وأمامنا ساعتان قبل أن تبدأ المحاضرة التالية. طلب مني صديقي أن أرافقه إلى جريدة تحت التأسيس طلبت موظفين في مختلف الحقول. تقدم يومها للعمل في قسم الكاريكاتير. عبّأ الطلب، وأرفق بعض رسوماته، وانتهى الأمر.

قبل أن نخرج، التفت إليّ وقال: عبّئ طلبًا. لن تخسر شيئًا.
سألت موظفًا هناك عن الوظائف المتاحة، فعدّدها وقال ضمن ما قال: «مدقق لغوي».

كان الوصف لطيفًا. عبأت الطلب، وقدّم لي الموظف قصاصة ورق، وقال إن فيها أخطاء، وعليّ أن أكتشفها.

مرّر القصاصة لرئيس التحرير، فاستدعاني، وقال: الليلة تتسلّم عملك مدققا لغويًا تحت التدريب.

صرت مدقّقًا بالصدفة، ولم يستدعوا صاحبي. كان الحدث يشبه كاريكاتيرًا لم ينجح صاحبي في رسمه وتمريره ضمن طلب التوظيف.
23 عامًا وأنا جالس إلى المنضدة ذاتها. استبدلت «الكيبورد» بالقلم الأحمر. وما زلت أتسقّط الأخطاء.

صراع دائم

في قاعات التحرير، زاوية صغيرة يجلس فيها مدققون لغويون، يطلّون على قاعة فسيحة فيها محررون، يمرر هؤلاء لأولئك مواد المراسلين والكتاب، ليمرّوا عليها ويصححوا ما فيها من أخطاء، لتصير جاهزة للنشر.

وثمة صراع دائم بين الطرفين، كلٌّ يدعي وصلاً بالمنتج النهائي، وهو يتكئ على الطرفين معًا.

المحرّرون يرون أن للمعنى القدح المعلى. فيما يرى المدققون أن للغة قصب السبق. كان جدلاً بيزنطيًا، ولم يكن يحسمه إلا قارئ فطن، يريد معنى عاليًا بلغة أنيقة، وبلا أخطاء.

كان الوعاء النهائي خليطًا من مكونات يجب أن تكون متناسقة، من معانٍ ينتظرها القراء، ومن بهارات لغوية تجعل الطعم لذيذًا، لا ملح زائدًا فيه.

كمدقق حديث العهد، كنت أدافع عن مهنتي بشراسة، وأجادل المحررين بلا تعب، إلى أن أدركت الخلطة الصحيحة: الصورة الجميلة من المعاني، تحتاج إلى إطار مناسب من اللغة.

الوجه المليح يحتاج إلى ما يلائمه من «المكياج»، كي يبدو أخّاذًا.

المعنى واللغة، قطار يعرف وجهته، على سكة حديد لا عوج فيها ولا كسر.

لا علوّ لكعب المعنى على اللغة، ولا للغة على المعنى، هما صنوان في عالم الكتابة، يكمل أحدهما الآخر، وينقص أحدهما بغياب الآخر.

إن المدقق شرطي سير، يحافظ على مرور الكلمات بسهولة، محافظًا على المسافات بينها لئلا تصطدم، ولا يتدخل في هذه الحركة إلا بمقدار ما يمكن أن يمنع وقوع حادث، أو ليخالف سيارة ذرعت الشارع عكس السير.

كاتب المقال خلال عمله في جامعة بيرزيت عام 2014.

«نريد من النحو ما يعيننا على قضاء حوائجنا»، ما يقوله خالد سليم للمتدربين في محاضرات التدقيق اللغوي.

أما المحرر، فمخطِّط المدن، يعدل الشوارع واتجاه السير، لتكون الحركة العامة طبيعية. المدقق هو النحل الذي يجمع رحيق أزهار النصوص ويأتي به للملكة- المحرر، كي ينتج القفير أجود العسل.
المدقق هو الجندي في أرض المعركة، يتنقل بين جثث الكلام وألغام الكتّاب، ويقتحم بيوت الشعر ليعتقل علامات إعراب احتلتها عنوة، وطردت ساكنيها.

مهننة الرقابة على اللغة

لم تكن مهنة «التدقيق اللغوي» موجودة عندما كانت ألسنة الناس مضبوطة على إيقاع لا ينشز. ولعل الشعراء كانوا ضحايا لعسف اللغويين وذوي السليقة البكر، فعاب عليهم خصومهم والنقاد أي خطأ وقعوا فيه.

ولما اختلطت الأنساب، ودخل كثير من الأعاجم في مجتمعات لا تلحن، توترت اللغة، وتوترت المعاني، وبلغ الإسفاف فالانحطاط، الدرك الأسفل، فتنشط اللغويون وأصحاب القواعد.

وقد كانت دور النشر الوازنة تمتنع عن نشر حرف واحد دون أن يمرّ على لجنة للمحتوى، ثم على ضابط إيقاع اللغة.
كانت هذه الدور تحرص على اللغة، حرصها على المعاني التي تضمّها دفتا الكتاب الذي تصدره.

هل أقول إن محمود درويش، كان يمرر ما يكتبه على من يثق بلغتهم من خاصته؟ لم يكن يفعل ذلك لضعفه، لكنه لم يرد أن ينقل أحد عنه خطأ، وكان يدرك أن واحدنا قد لا يدرك خطأه، لأن وعيه منصبّ على المعنى أولاً وأخيرًا.

سأقول، وأجري على الله، إنه رغم كل الجهود التي كانت تبذل في هذا المجال، إلا أن معظم الكتب -وأتجنب قول «كل الكتب» خشية الشطط- فيها أخطاء عابرة، وإن اختلفت مستوياتها، وأتحدث عن أمهات الكتب هنا، ومنها دواوين كبار الشعراء.

الفعل البشري قاصر عن الكمال، على أن هذا لا يعني النكوص عن السعي إليه.

ما الذي يحتاجه من امتهنوا الكتابة كحرفة؟

أن يكونوا قادرين على كتابة فكرة ما، ولو عن طبخة شعبية، بشكل واضح وسليم، أو بالحد الأدنى من الأخطاء. وهذا ما نتوقعه ممن امتهنوا الكتابة كحرفة، في الصحافة أو الشعر أو الرواية أو القصة، أو حتى النص، ككائن فضائي لفظته صنوف الكتابة، واحتضنته منصات التواصل الاجتماعي.

اللغة عند هؤلاء هي ميزان الماء عند «البلّيط»، وهي

المنشار عند «النجّار»، وهي الفرشاة عند «الدهّان». إنها الأداة التي لا يصلح أن يمارس أيُّ كان مهنته دون التمكن منها. ما حاجتي ببلّيط يعتمد على عينه، فيدمر أرضية البيت؟ وما حاجتي بنجّار ينشر خشب السرير بميل فاضح؟ وما حاجتي بدهّان يقف أمام الحائط ويعطي توصيفًا للجمال الذي يتوقع أن يكونه بعد أن يلطخه بسوء فعله؟
اللغة هنا ليست هامشًا.

وصف وظيفي

أن تكون مدققًا لغويًّا؛ يعني أن ترمي المثل القائل: «من راقب الناس مات همًّا» في أقرب حاوية، فمتعتك الأثيرة مراقبة الناس، وأن تنتصر لسيبويه على الخليل بن أحمد، وتقول لشاعر كبير فذّ، إن ضرورات الوزن لا تتيح له كسر كل القواعد، فثمة خطأ لا يمر، ولا تتيحه له الضرورات العبقرية، وأن تطلّ من شرفة لغتك على كتاب المقالات والمراسلين والمحررين في الصحيفة، وتبتسم بمكر، وتقول في سرّك: اكتبوا ما شئتم، فإن خراجكم آتٍ إليّ.
أن تكون مدققًا لغويًّا يعني ألا تستوعب كلمة من خطبة الجمعة، فقد استخدمت أصابع المصلين كلّهم وأنت تعدّ أخطاء الخطيب الذي كان يتحدث عن الإعجاز اللغوي في القرآن.

مساوئ «التدقيق»

في «التدقيق اللغوي»، يتفلّت المعنى من بين يديك فيما أنت تتسقّط الأخطاء.

والعمل في التدقيق يجبرك على قراءة ما لا تهوى، فبينما أنت مع امرئ القيس في غزله بالحبلى والمرضِع، يقطع استمتاعك تدقيق كتاب عن فوائد الرضاعة الطبيعية. وفيما أنت منغمس في معارك جرير والفرزدق، يأتيك كتاب تدققه عن فن الصمت!

تتلبّسك في بدايات عملك حالة هوس بالأخطاء. وتبحث عنها بلا تعب؛ في ورقة الجريدة تحت الطعام، وفي لافتة محل الأحذية، وعلى ورقة إعلان على عمود كهرباء عن رجل مسنّ خرج ولم يعد. وقد حالت الأخطاء الهائلة دون أن تفكر بمد يد العون لهؤلاء. ستذهب إلى الكتب العتيقة، وترتمي الأخطاء تحت عينيك دون جهد، فمن ديوان الشوقيات، إلى شرح ألفية ابن مالك، إلى الأعمال الكاملة لمحمود درويش.

مرة، اتصلت بي ناشرة دققت لها قصة، وقالت: «هل يمكن أن تأتي «المساء» منصوبة هنا: «في المساء، جاء الغريب مرة أخرى»؟ فقلت لها: كلا كلا. فقالت لي: هاك القصة التي دققتها: وردت هكذا. طلبت منها كل النسخ كي أصحّحها بيدي. أحسست بثقل المسؤولية عن أطفال سيرونها ويحفظونها، وسأتحمّل وزر تعطيل حرف يجرّ فيلاً، لا مجرد مساء سيعود فيه غريب ليسرق دجاجات السيدة العجوز ويهرب.

شهادة مزاولة مهنة

في عام 2015، قدم الإعلامي عارف حجاوي دورة في «الكفاءة النحوية وضبط النص»، في مركز تطوير الإعلام بجامعة بيرزيت الفلسطينية. وقد كررها عدة مرات، آخرها قبل شهر من الآن. وهي تشهد إقبالاً لافتًا. واللافت أيضًا شيء آخر. لقد أعد حجاوي امتحانًا يقدمه من يشاء من المتدربين، يحصل من ينجح فيه على شهادة تقول إن حاملها مؤهل للعمل مدققًا لغويًّا.

حجاوي الذي أصدر أربعة كتب في النحو، استهدف فيها الإعلاميين، عمل مدققًا، وهو يمقت في هذه الوظيفة الرتابة، لكن ما صبّره عليها «لذة تسقّط أخطاء الآخرين، والهيبة التي يملكها من يملك صحة اللغة بإزاء من لا يملكها»، كما يقول.

ويقدم حجاوي، الذي عمل عقودًا في مؤسسات إعلامية كبرى، كالبي بي سي والجزيرة، مواصفات للمدقق اللغوي الجيد، فيقول إنه «من يملك سعة المعرفة لكي يرسم خطًا واضحًا بين الخطأ الشائع الذي جعلته الألسن من الصحيح المقبول، وبين الخطأ الشائع المرذول، وسعة الخلق لكي يصحّح للناس أخطاءهم دون أن يفرك في أعينهم قرن فلفل. وأن يتحلى بصفة التواضع، الذي يساعد المدقق في معالجة نصوص ضعيفة المضمون بحسب رأيه. لكن تواضعه يجعله يحدث نفسه بأنه ربما كان للكاتب منطق آخر».

حدود التدخل

والمدقق اللغوي يناور في منطقة واضحة الحدود، فهو ضابط الإيقاع اللغوي والإملائي والمطبعي. أما الصياغة، فليست ضمن وصفه الوظيفي. إلا أن المدقق اللغوي منذ عشرين عامًا إياد الرجوب، الذي عمل في صحف فلسطينية ورقية مختلفة، ونشرات إلكترونية، وفي تدقيق عشرات الكتب ورسائل الماجستير والدكتوراة؛ يرى أن حدوده أكبر.

يقول الرجوب: «أحيانًا، تصطدم بنصوص لا يعي أصحابها المفهوم الحقيقي للمدقق اللغوي، ويعتقدون بينهم وبين أنفسهم أنهم -من خلال صفّ الكلمات في السطور- قد أصبحوا كُتابًا أو ربما أدباء، ويلقون إليك بنصوصهم لتدقيقها، فتجد أنها عبارة عن فوضى تعبيرية لغوية وأدبية وحتى إملائية، فتضطر -احترامًا لذاتك- إلى الخروج من هذه الفوضى بنصٍّ يليق بك وبمكانتك أنت كمدقق لغوي، لتكون النتيجة نصًا محترمًا ينشر باسم صاحبه على أنه كاتب أو أديب مرموق دون أي شكر أو حتى ذكر للمدقق اللغوي».

ويدين الرجوب لهذه المهنة بأنها «تخلق إنسانًا يقِظًا يلتفت لأمور دقيقة في العمل والحياة يمر عنها الآخرون مرور الكرام، مع أنها تكون أحيانًا مفصلية وحاسمة».

بين الانقراض والازدهار

الإعلامي حجاوي يرى أن مهنة المدقق اللغوي «ستزول عندما يزول الإعراب عن اللغة. وهذا سيحدث بعد عقود».

أما المدقق الرجوب، فيرى أن «الاهتمام بالتدقيق اللغوي قبل 20 عامًا كان أقل بكثير مما هو عليه الآن، فالمهنة في تقدم وزيادة اهتمام واحترام، لا في زوال».

أما محسوبكم، فأقف على الأعراف بين الرأيين، فإلى أن تزول بعد عقود، ستظل تحظى بالاحترام، وسأظل أعمل فيها، حزينًا على حال اللغة، سعيدًا بتسقّط الأخطاء، وفرحًا بالرزق الذي كان مكتوبًا ومقدرًا، وكنت أحتاج إلى صدفة فقط، قبل 23 عامًا، كي أصير مدققًا لغويًّا.

الإعلامي عارف حجاوي (يسار) من أبرز المدققين اللغويين، عمل في أكثر من وسيلة إعلامية. والصورة خلال دورة تدريبية يعطيها في معهد الجزيرة للإعلام، الدوحة - قطر.

صحافة الفيديو.. عن إمكانية الموت قبل الولادة

فاتن الجباعي

صحفي الفيديو إعلاميّ كغيره، لكنّ مهمته جامعة، إذ عليه أن يختصر عدة أدوار في نفسه: أن يبحث عن القصة، يُقنع مدير تحريره بها، يصورها، يخضعها للمونتاج، ويكتب نصها.. إنه المنتج الوحيد لتقرير تلفزيوني كامل.

في طريقي إلى منطقة البقاع اللبنانية.. ساعتان أو ربما ثلاثة من مقرّ سكني في بيروت.. في المقعد الخلفي، كاميرتي وحاملتها، رفاقي الجدد، وفي المقعد الجانبي فراغ يزيد من توتري. أقود سيارتي ذاهبة وحدي نحو قصة صحفية جديدة.. لم أكن حينها مستجدة على العمل الإعلامي، بل أذكر أنّه كان عامي الرابع فيه.. الجديد كان نوع المهمة؛ مصوّرة صحفية.. تجربة التخلي الأول عن زملائي المصورين، وهم -ليس بحكم الصدفة طبعا- دائما من الذكور، بل والتخلي أيضا عن مساعديهم الكثر. فجأة، وجدتني أستبدل فريق العمل بنفسي.

العربة ما زالت في طريقها إلى التقرير.. هاتفي يرنّ: «وين صرتوا؟» يقول صاحب القصة التي أقصدها.. أجيب بصيغة المفرد لكي أمهد له مشهد قدومي إليه وحدي «دقائق وأصل إليك».

لم أستغرب مفاجأته: «أين الفريق؟»، أجبت: «أنا الفريق».. لم يتكلّف ابتسامة، ولم أتكلّف جهد طمأنته.. لا بأس، كنت مثله غير واثقة.

كان هذا قبل عامين.. وقبل يومين، قصدت طريقا مشابها نحو قصة أخرى.. وحدي مجددا، مع كاميرتي نفسها وحاملتها، وبعض المعدات الجديدة، فالعائلة لا بد أن تكبر.. هذه المرة، لم أقصد شخصا لتصوير «نجاحه»، بل قصدت بلدة كاملة.. كنتُ في مهمة قضاء

أثناء مقابلة مع السويدي بنيامين ادرا الذي مشى من بلده إلى حدود فلسطين إيمانا بقضيتها. التقرير كان لصالح تلفزيون وزم إن الهولندي - تصوير: فاتن الجباعي.

يومين داخل قرية حدودية مع سوريا من أجل إنتاج سلسلة من القصص المصوّرة عن حياة اللاجئين فيها.

الجملة ذاتها مرة أخرى، إنما بدهشة أكبر: «أين الفريق؟»، «أنا الفريق».. مجددا، لم أتكلف جهد الطمأنة، لأنّ هذا ما كنت عليه بالفعل.

غموض المصطلح

الاستثناء وارد، لكن المؤكد أنّ مشهد المصوّر بكاميرته الضخمة، يجاوره صحفي -أو صحفية- بورقة وقلم، هي الصورة الذهنية عن المراسل التلفزيوني.. ليس لدى العموم فقط؛ فمفهوم «صحافة الفيديو» نادر الذكر في

المقـررات الجامعيـة بلبنـان وفـي المؤسسـات المحليـة أيضـا.

قـد تبـدو المشـكلة أنّهـا بـطء فـي تبنـي التجربـة، ففـي أميـركا نفسـها -مـكان ولادتهـا- ومـن ثم فـي أوروبـا، اسـتغرقت صحافـة الفيديـو سـنوات قبـل أن تصبـح بالأهميـة التـي هـي عليهـا اليـوم. لكنهـا تجربـة جـاوزت 30 عامـا فـي تلـك البلـدان! قـد لا يكـون هـذا بطئـا منّـا فحسـب، بـل جمـودا مقلقـا!

المفهـوم شـديد البسـاطة: صحفـي الفيديـو إعلامـيّ كغيـره، لكـنّ مهمتـه جامعـة، إذ عليـه أن يختصـر عـدة أدوار فـي نفسـه: أن يبحـث عـن القصـة، يُقنـع مديـر تحريـره بهـا، يصورهـا، يخضعهـا للمونتـاج، ويكتـب نصهـا؛ مـع كل مـا تشـتمله هـذه الخطـوات مـن مهـام تفصيليـة. بمعنـى آخـر، صحفـي الفيديـو هـو المنتـج الوحيـد لتقريـر تلفزيونـي كامـل. صاحـب الفكـرة هـو الأميركـي مايـكل روزنبلـوم.. كان شـابا يافعـا (32 عامـا) حيـن التمـس فـي هبـوط أسـعار معـدات الفيديـو فرصـة لإطـلاق فكرتـه: الصحافـة للجميـع.. حماسـه لـم يـرُق لكثيريـن، لكـن كان كافيـا أن يحظـى بثقـة مؤسسـة عالميـة واحـدة -مثـل البي.بي.سـي- لتنطلـق فكرتـه فـي التغييـر جذريـا فـي عمـل الصحافـة التلفزيونيـة فـي العالـم.

صراع الصحفي والمصوّر

ليـس مسـتغربا أن يشـعر المصـوّر بالخطـر مـن هـذه التجربـة الحديثـة فـي لبنـان.. أتلمّـس توجسـا مـن زملائـي المصوريـن، لا سـيما أنّـي أتقاضـى أجرهـم مقابـل وظيفتيـن: الصحافـة والتصويـر.

مـع ذلـك، لا يمكـن للصحفـي أن يدّعـي إتقـان التصويـر بمسـتوى أصحـاب التخصـص. لكـن السـؤال الـذي يطـرح نفسـه: هـل مـا زال الإعـلام متمسـكا بالمعاييـر الفنيـة للصـورة؟

أذكـر جيـدا أنّ فـي تدريبـي الأول علـى صحافـة الفيديـو، عرضـتْ المدربـة نمـوذج تقريـر لمناقشـته.. كان العمـل بلغتهـا الألمانيـة.. عقـب مشـاهدة التقرير سـؤال: مـاذا فهمتـم؟ لـم تكـن الغايـة اختبـار مسـتوانا اللغـوي فـي الألمانيـة طبعـا، وإنمـا إثبـات القاعـدة الأولـى فـي صحافـة الفيديـو: رسـالة التقريـر تصنعـه الصـورة.. اللغـة عنصـر ثانـوي.

التقريـر النمـوذج تخللتـه أخطـاء تقنيـة واضحـة؛ مـن كسـر لقواعـد الضـوء ومشـاكل فـي التأطيـر.. اللافـت أن أحـدا لـم يكتـرث، فالقصـة أحدثـت إشـباعا بصريـا بصـرف النظـر عـن تفاصيـل الجـودة.

لا شـك أن صحافة الفيديو اسـتثمار مـادي لأصحـاب المؤسسـات.. عـدّة وظائـف لشـخص واحـد، معادلـة مر بحة .

لكـنّ المؤسسـات الإعلاميـة الكبـرى لـم تتبـنّ هـذا المفهـوم لتوفيـره المالـي فحسـب.
نضجـت القناعـة بـأنّ منتـج الفكـرة هـو الأقـدر علـى تنفيذهـا، بمعنـى أنّ الصحفـي أجـدر باختيـار صـوره بمـا يتـلاءم مـع رسـالته، وأنّ المصـوّر -مهمـا بلـغ احترافـه- لـن يكـون بمسـتوى إدراك الصحفـي بمـا يحتاجـه التقريـر مـن عناصـر بصريـة.. هـذا

أثناء تغطية عودة عدد من اللاجئين إلى بلدهم سوريا عبر الحدود اللبنانية. التقرير كان لصالح تلفزيون دويتشه فيليه الألماني. تصوير: عبد الله الحجيري.

توجه ليس عليه إجماع، لكنّ الأكيد أن مناصريه ليسوا بقلة. هنا نصل إلى المفهوم الملازم لصحافة الفيديو: السرد القصصي من خلال الصورة.. إذًا، لا بد من تداخل وظيفي بين المصور والصحفي لإنجاح المفهوم. ولهذه الغاية، ترافقت صحافة الفيديو بقواعد ميّزتها، كاللقطات الخمس: صوّر الفعل أولا، ثم الوجه، ثم المكان، إلخ.. تقنيات أبسط بكثير مما يجيده المصوّر عادة، لكنها رغم ذلك تتحدد بحسب القصة. وقد لا يشعر المصور بقناعة هذا التسلسل، لأنّه بطبيعة الحال يولي للتقنية الأولوية على حساب الرسالة، في حين أن الصحفي يبقى المدافع الأول عنها.

العمل محليا

بالوصول إلى السرد القصصي، ينبغي التأكيد أن مصطلح «قصة» لا يستخدم عبثا.. واحد من أهم مبادئ صحافة الفيديو هو تحويل الخبر الصرف إلى قصة متكاملة لا تخلو من عناصر التشويق.
قد يبدو الأمر مضحكا إذا ما أسقطناه على قضايانا المحلية.. فلنأخذ مثلا قضية كأزمة النفايات في لبنان: هل يمكن تحويل موضوع كهذا إلى ما يشبه فيلما قصيرا؟ هذه بالضبط الفكرة من صحافة الفيديو.

الخطوة الأولى تكون باختيار زاوية.. لا بد للتقرير أن يتناول فكرة واحدة تُبنى الصورة والنص على أساسها.. بعدها يتم اختيار «البطل»؛ شخصية جاذبة تقود القصة. في مثلنا السابق، قد يكون البطل صاحب مبادرة تسعى للحد من التلوث.. سنرافقه على طول الفيديو، ننتقل معه من مكب إلى آخر، نراه في معمله الخاص للتدوير، وبرفقة مختصين أو متضررين. بمعنى آخر، سيحكي لنا هذا البطل قصته التي تعبر في النهاية عن قضية تكبره.. الفكرة ببساطة إضفاء عنصريْ التشويق والبساطة على القضايا، لضمان تأثير أكبر على المشاهد.

هذا ما لا نراه إلا نادرا في القنوات المحلية.. لِنُجْرِ مسحا على تقارير نشرات المساء.. مجددا، مثال النفايات هذا، كيف يمكن أن نراه؟ مشاهد أرشيفية، لقطات بعيدة تخلو من الشخصيات، مقابلات مطولة مع مسؤولين، وحشو لأرقام ومعلومات.

بهذا، صحافة الفيديو لم تحدث تحولا وظيفيا أو تقنيا، بل تحولا جذريا في مفهوم الخبر الصحفي نفسه، إذ حوّلته من نص مقروء إلى صور شديدة التناسق.
الخلاصة أنّها فرصة لتأثير أكبر بتكلفة أقل!

تاء التأنيث.. فرصة أم تعقيد؟

لا تخلو التجربة من بعض المواقف المزعجة.. ثمّة جلبة يحدثها مشهد امرأة في يدها آلة؛ أيّا تكن هذه الآلة. لكن يمكن للجلبة هذه أن تكون فرصة بقدر ما هي تحدٍّ.

عموما، صحافة الفيديو تتميز بالخفّة.. عدد أقل من الأفراد والمعدات، بما يعني راحة وعفوية أكبر في العمل.. هذا النوع من العمل يعطي إحساسا بالخصوصية بين الصحفي المصور والشخصية التي يعمل معها، كأنّ العمل مساحة مغلقة بين طرفين. يزيد من السهولة أحيانا كون المصور امرأة.. هذا استنتاج شخصي لا أدّعي تعميمه.. الجندرية هنا تنحاز إلى صالح المرأة إذا ما كانت القصة حساسة، كقصص الاغتصاب والزواج المبكر.

وجودي المستقل مع البطلة يمنحني فرصة إضافية للتعمّق في قصتها.. أمر لا أحصل عليه دائما برفقة زملاء. علاوة على أن الصحفية تعطي إحساسا أعلى بالأمان في الأماكن أو المواضيع التي تحمل حساسية أمنية.

لكنّ للتجربة جانبا لا يخلو من الصعوبة.. في التصوير جهد جسدي مضاعف رغم صغر الكاميرات، إلا أنّ وزن المعدات ككل غير هيّن، خاصة أن العمل قد يصل إلى 12 ساعة متواصلة! هذا إذا ما استثنينا جهد قيادة السيارة، والخطوات السابقة واللاحقة للتصوير. ولن يكون من المنطق الاستعانة «بصديق» للمساعدة، إذا ما أخذنا أن الربح النهائي للتقرير يصعب تقاسمه.

قد أكون أكثر حظوة من بعض الزميلات العاملات في مجتمعات أكثر انغلاقا من لبنان، لكن ذلك لا يلغي أن تجربة صحافة الفيديو تنحاز إلى صف الذكور في مسألة الأمان.

موت قبل الولادة

يذكر مؤسس صحافة الفيديو روزنبلوم في إحدى مقالاته الحديثة لمجلة «هافينغ بوست» موقفا جمعه بصديقه بنتلي، المصور الفوتوغرافي لمجلة «التايم». عمر الموقف قريب من عمر تأسيسه لفكرة صحافة الفيديو.. كان حينها في أوج عمله على مفهومه الجديد.. دعاه صديقه المصور لمرافقته في تغطية مناسبة سياسية.. يقول روزنبلوم: «أخرج بنتلي من حقيبته قطعة أنيقة.. كانت أول كاميرا رقمية لشركة كانون.. أمسك بها ووجّهها للحدث، والتقط عددا مذهلا للصور بسرعة ودقة عالية».
يتابع: «لكن صديقي كان يحمل في يده بذور تدمير مهنته، لأنه إذا تمكن هو من التصوير بهذه السهولة فيمكن لأي شخص آخر القيام بذلك.. قد لا يملك الآخرون عينَه في التصوير، ولكن ربما لن تهتم مجلة التايم بذلك.. وتبين لاحقا، أنهم لم يهتموا بالفعل».

حقائبنا اليوم تُخرج آلات أقل تعقيدا من كاميرا صديق روزنبلوم، وكلما صغرت الآلة كبر السؤال عن قدرة صحافة الفيديو على الصمود.

هل تموت صحافة الفيديو حتى قبل أن تولد بشكل حقيقي في منطقتنا؟
«كم من الوقت يلزمنا قبل أن تحل مقاطع فيديو الآيفون محل أعمال محترفي الفيديو؟ أظن خمس سنوات وربما أقل».. بهذا يختم روزنبلوم مقالا كتبه قبل خمس سنوات.

خلال تقرير من بلدة عرسال اللبنانية المجاورة للحدود السورية، لتغطية ظروف اللاجئين المقيمين فيها. التقرير لصالح تلفزيون دويتشه فيليه الألماني. تصوير: فاتن جباعة.

صحافة الأشباح في العراق.. رحلة البحث عن الأمن الوظيفي

مسلم عباس

لا قوانين ناظمة لمهنة الصحافة في العراق، بل يسود المشهد الصحفي فوضى يتسابق فيها الجميع لحجز مكان في أكثر من مؤسسة إعلامية، لضمان الاستمرار في المهنة.

يمكن للصحفي العراقي أن يعمل 16 ساعة في اليوم الواحد لصالح مؤسسات إعلامية مختلفة التوجهات. في الصباح مع قناة فضائية بصفة مراسل ميداني يغطي الأحداث السياسية اليومية في البلد، يحدد واجبه بعد اجتماع سريع يجري في الثامنة صباحا وينطلق لإجراء مقابلات مع شخصيات الحدث، ويعود في الظهيرة ليكمل تقريره. يخرج قبل انتهاء الدوام الرسمي بربع ساعة يستفيد منها كوقت مستقطع خلال ذهابه إلى الإذاعة الإخبارية التي يعمل فيها مراسلا أيضا، لكن تحت اسم مستعار حتى لا تستطيع القناة الفضائية اكتشافه متلبساً بجريمة إعداد تقارير لصالح مؤسسة مختلفة معها سياسيا.

لا تقف رحلة صديقنا الصحفي عند الإذاعة، إذ ينطلق منها ليلا للعمل محررا في موقع إخباري حتى منتصف الليل، وبأجر زهيد يكاد يكفي لسد أجور سيارات الأجرة التي يستقلها يوميا للتنقل بين أماكن عمله، فضلا عن تغطية فاتورة طعام الوجبات السريعة رخيصة الثمن، مقارنة بمطاعم الدرجات المتوسطة.

يشبه عمل الصحفي العراقي صديقه عامل البناء، فلا توجد عقود بينه وبين المؤسسة، وهو محروم من الضمانات الإدارية أو المالية، في حين صيغ قانون حماية الصحفيين بعبارات جميلة ليشكل لوحة تراثية يكسوها التراب على رفوف نقابة الصحفيين. وهنا يلجأ الصحفي إلى ضمانات من نوع آخر.. ضمانات بدائية إلى حد ما، لكنها تكفي لخفض منسوب القلق لديه إلى المستوى المتوسط.

فالعمل في مؤسسات متعددة تبقيه بعيدا عن منطقة الخطر، على الأقل في القريب المنظور، وإذا فُصِل من القناة الفضائية فلديه الإذاعة والموقع الإخباري، ويمكن أن يحصل منهما على مرتّب لا بأس به (نحو ألف دولار)، لكن ذلك يتطلب العمل بسرية وبأسماء مستعارة أحيانا.

خوفا من غضب المدير

محمد العواد (مراسل تلفزيوني ويعمل بإذاعة محلية) يرى في حديثه لمجلة "الصحافة" أن الأجور التي يتقاضاها الصحفي في تغطية الحرب ضد «تنظيم الدولة» أصيبوا في المعارك، والبعض الآخر استشهد. يقول العواد الذي شارك أيضا في تغطية تلك الحرب، إن ذوي زملائه الذين استشهد أبناؤهم في المعارك لم يحصلوا على حقوقهم، بينما لم تستقبل

يضطر الصحفي العراقي للعمل في أكثر من وسيلة إعلامية، ما يقتل الجانب الإبداعي في العمل ويؤثر على الاستقلالية والحيادية. شاترستوك.

متدنية، مما يضطره للعمل السري مع مؤسسة إعلامية أخرى، وفي بعض الأحيان تعلم مؤسساته المتعددة التي ينتمي إليها بارتباطاته المتشابكة. ويحتاج العواد للعمل في ثلاث مؤسسات ليتمكّن من تأمين عيشه وصحته.

لا قوانين ناظمة -بحسب العواد- لمهنة الصحافة في العراق، بل يسود المشهدَ الصحفي فوضى يتسابق فيها الجميع لحجز مكان في أكثر من مؤسسة إعلامية لضمان الاستمرار في المهنة، فربما يُطرد الشخص بجرة قلم، أو "نزوة غضب" استبدّت بالمدير، حيث تشح المعاملات الرسمية وتسود الاتفاقات الشفهية.

بعض الصحفيين الذين شاركوا المؤسسات الإعلامية زملاءه الجرحى لأنهم لا يستطيعون تنفيذ المهام نفسها التي كانت تلقى على عاتقهم سابقا.

ماكينة عمل

الصحفيون الأشباح لهم أساليبهم الخاصة في تأمين المواد الإعلامية لأكثر من ست مؤسسات في آن واحد. يروي لنا الصحفي حسن نعيم الشنون قصصا عن زملائه الذي يرتبطون بدوام رسمي مع مؤسستين مختلفتين بدوام صباحي وآخر مسائي، كما يعدّون في الوقت نفسه موضوعات لوكالات إخبارية يرتبطون معها بنظام القطعة. الشنون الذي يعمل مراسلا لصالح موقع "مونيتور" الأميركي، وكان قد أعد تحقيقات استقصائية لشبكة "أريج"، يجد أن الدخلاء على مهنة الصحافة أضافوا ثقلا جديدا وزاحموا الصحفيين الحقيقيين في تخصصهم، إذ لا تطلب بعض المؤسسات خبرة ميدانية ولا حتى مهارة في العمل الصحفي، لا سيما إذا كان بعض المتقدمين يقبل العمل براتب لا يزيد عن 300 دولار فقط، هنا يصبح لمدير المؤسسة مجال كبير للمناورة وقبول أو رفض المتقدمين للعمل، إذ إن جلب خمسة صحفيين أو أكثر من هؤلاء الذين يحملون شهادات تدريبية من مؤسسات وهمية وبأجور زهيدة، أفضل بكثير من صحفي محترف واحد يثقل كاهل الموازنة، لا سيما أن المواقع الإخبارية لا تعطي أولوية للمهنية، فالمسألة لا تتعدى استنساخ أخبار الوكالات العالمية والعربية ووضعها في قالب جديد.

لكن رغم لومه الشديد للمؤسسات الصحفية وإداراتها التي لا تقدر جهود عامليها، يعتقد الشنون أن الصحفي يتحمل جزءا من المسؤولية لكونه يرضى بأن يعمل براتب لا يزيد عن 300 دولار أو أكثر منها بقليل، مما يعطيهم فرصة للتمادي أكثر، ويدفع بالصحفيين الكبار إلى زاوية ضيقة قليلة الاحترام.

ويتفق معدّ البرامج التلفزيونية محمد شفيق مع زميله الشنون في تحميل الصحفي مسؤولية ما وصل إليه الحال في المؤسسات الإعلامية العراقية، لكونه يسكت عن حقوقه، ويخضع للأمر الواقع، مشيرا إلى أن تعدد المهام في أكثر من مؤسسة يقتل الإبداع لدى الصحفي في جوانب كثيرة، كما يقتل قضية الاستقلالية والحيادية.

وبشأن عدد الصحفيين الذين يعملون في دوام مزدوج يقول شفيق إن المشكلة الأخرى في هذا الشأن هي غياب إحصائيات محددة، لكنه يعتقد حسب متابعته أن هناك نسبة كبيرة جدا من الصحفيين الذين يعانون من مشكلة الازدواج الوظيفي.

صحافة موسمية

يرى عدد من الصحفيين الذين التقيتهم أن المشكلة الأساسية للصحافة العراقية هي غياب العمل المؤسساتي، وعدم تفعيل القوانين الناظمة، وقد ساهم الصحفي نفسه في تعزيز هذه البيئة غير الآمنة لعمله، التي يسميها الصحفي حسام الحاج "الدكاكين الصحفية". وهذه البيئة مرتبطة بحركة الأموال التي تمول المشاريع في العراق، وهي في غالبها مال سياسي معرَّض لهزات ونكبات، خصوصا أن المؤسسات الصحفية مشاريع حزبية.

ويقول الحاج الذي يعمل في المجال الحقوقي في حديثه لمجلة "الصحافة" إن تبعية الصحافة للممول السياسي جعلها تخضع للمواسم السياسية، إذ تمثل الانتخابات ربيع الصحافة العراقية، وهذه مشكلة بنيوية أساسية تعرض

صحفيون عراقيون في وقفة احتجاجية للمطالبة بحرية التعبير عام 2009 في العاصمة العراقية بغداد، الوضع لم يتحسن حتى اليوم. تصوير: مهند فلاح - غيتي.

الصحفيين ومؤسساتهم للابتزاز المالي.

وعن دور نقابة الصحفيين في العراق، يقول الحاج إن واحدة من الفجوات الكبيرة في عمل الصحافة هي وجود نقابة مخصصة للصحفيين، فهي برأيه لا تعرف ما هو العمل النقابي ولا تعرف موقعها من القانون والدستور، وكيف يجب عليها التعامل مع المواقف المختلفة. ويضيف أن هذه النقابة تعتقد أن مهمتها تدجين الصحفيين وتحويلهم إلى مشاريع "روبوتات" للسياسيين، فهي "لا تدافع عن حقوقهم ولا تقدم رؤى محددة، بل تتهرب حينما يتعرضون لمشكلات قانونية".

ولمواجهة حالة الانفلات في المؤسسات الصحفية، أقر مجلس النواب العراقي قانون حماية الصحفيين عام 2011، تضمّن مواد قانونية لو نفذت لانتشلت الصحافة من محنتها. وأبرز ما تضمنه القانون الجديد المادة 13 التي جاء في نصها «تلتزم الجهات الإعلامية المحلية والأجنبية العاملة في جمهورية العراق بإبرام عقود عمل مع الصحفيين العاملين في تلك الجهات وفق نموذج تعده نقابة الصحفيين في المركز أو الأقاليم. ويتم إيداع نسخة من العقد لديها». لكن المشكلة أن المادة 14 من نفس القانون تتخلى عن حماية الصحفي وتحيله إلى قانون العمل، إذ نصت على الآتي «لا يجوز فصل الصحفي تعسفياً، وبخلافه يستطيع المطالبة بالتعويض وفق أحكام قانون العمل النافذ».

وهكذا، يكون القانون قد أعطى الحق للصحفي لتقديم الشكوى والحصول على التعويض، لكن دون أن يتطرق إلى مسألة منع الفصل التعسفي، بالإضافة إلى أنه لم يتطرق إلى أي عقوبات بحق المؤسسات الصحفية التي تمارس الضغوطات على العاملين لديها.

وحتى لو وجدت نصوص محبوكة تضاف إلى تلك الموجودة الآن، تبقى القوانين عبارة عن لوحات كبيرة لحجب الواقع العراقي عن الرقيب، فلا المواد القانونية الموجودة ساهمت في حماية الصحفي، ولا يمكن للأخرى أن تفعل الأولى، لأن مأساة الصحافة العراقية قُتلت بسيف المال السياسي وكبّلت العاملين في هذا المجال بقيود الإدارات البعيدة عن المهنية.

صحفي يحمل زميلا له أصيب خلال تغطيته القتال الدائر بين القوات العراقية و«تنظيم الدولة»، قريبا من مدينة الموصل العراقية عام 2017. تصوير: إيريك دي كاسترو - رويترز.

أخطاء محتملة في الترجمة الصحفية

فراس العلي

يعتبر مترجمون يعملون بمجال الصحافة، أن أكثر أنواع الترجمة عرضة للأخطاء هي الترجمة الفورية، لأن المترجم لا يملك الوقت الكافي كي ينقل الخبر بوضوح كامل، فيعتمد المعنى القريب للنص الأصلي إن كانت التصريحات تحتوي على بعض المصطلحات الغامضة.

من مشاكل الترجمة التي يواجهها الصحفيون مترجمو الأخبار في سوريا حاليا، هي ترجمة أسماء الفصائل المختلفة. تصوير: أوميت بكتاس - رويترز.

الترجمة الفورية أكثر عرضة للأخطاء، لأن المترجم لا يملك الوقت الكافي كي ينقل الخبر بوضوح كامل - شاترستوك.

"ذات يوم في حلب، كنتُ أعدّ استطلاعا، ومن بين آراء الضيوف ذكر أحدهم اسم الفصيل العسكري «جند الحرمين» وكان عليّ ترجمته، وحينما أنهيت الترجمة وأرسلته للصحفي المسؤول ضحك وقال: «إذا اطّلع المشاهدون على الترجمة سيعتقدون أن هذه الجماعة أشد حركات العالم تطرفا".

روى لي ذلك الصحفي السوري حسين عكوش -وهو يعمل مع عدة وكالات ووسائل إعلامية من بينها الغارديان- حين كان يقع بهذه الأخطاء في بداية عمله.

وتابع أثناء حديثي معه حول أخطاء الترجمة التي يقع بها بعض الصحفيين: هناك مصطلحات سيتغير معناها قليلا عند الترجمة، مثل كلمة "واسطة" المعروفة في الوسط السوري، وأقرب ما يماثلها بالإنجليزية كلمة "Nepotism"، لذا أستعين بهذه الكلمة.

وأكد أن هناك مصطلحات عديدة برزت في الملف السوري ويجد المترجمون صعوبة أحياناً في إيجاد الكلمات المناسبة لها بلغة أخرى، مثل مصطلحات «شبيحة، داعشي، أسدي».
وتتصرف بعض الوسائل الإعلامية في مثل هذه الحالات باستخدام كلمات لها معنى قريب للكلمة الرئيسية، أو كتابتها كما هي بالإنجليزية، مع شرح بسيط يلحق الكلمة.
أيضاً يقف بعض المترجمين عاجزين أمام ترجمة مصطلحات معينة، كأسماء الفصائل العسكرية في سوريا والأمثال الشعبية والجمل التي ترمز لحدث ما، لكن في غالب الأحيان يذكرون اسم الفصيل أو المصطلح كما هو بالحروف اللاتينية، ويضيفون إليه شرحاً بسيطاً.

الشجاعة في الترجمة

ترد أخطاء الترجمة في العديد من الميادين والفعاليات، ولعل أبرزها تلك المتعلقة بتصريحات الساسة والمسؤولين، خاصة إن كان لمحتوى التصريح أهمية بالغة.

في الآونة الأخيرة، تصدرت إدلب المشهد السياسي وتحولت إلى مادة دسمة لوسائل الإعلام، الأمر الذي أدى إلى وقوع أخطاء في ترجمة بعض التصريحات المتعلقة بإدلب.

أثناء بحثي في الموضوع، لاحظت خطأ في الترجمة حصل بموقع جريدة "الوطن" المقربة من النظام السوري، ويتعلق بنقل تصريحات مغلوطة حول موقف الصين مما يجري بإدلب. وجاء في الخبر أن "بكين مستعدة للمشاركة في معركة إدلب»، بينما كان موقفها من ذلك هو «دعم الحل السلمي لأزمة سوريا وبالطرق السياسية».

وما إن نُشر الخبر على موقع الجريدة حتى طالبتها سفارة الصين في دمشق بالاعتذار، لتعترف الجريدة فيما بعد بالخطأ وتنشر توضيحاً.

وينصح مترجمون باتباع إرشادات معينة كي لا يقعوا في فخ النقل الخاطئ لمحتوى الأخبار، خاصة من يعمل في ميدان الترجمة الفورية.

اتصلنا بالصحفي غانم تركماني، وهو يعمل كمترجم بين اللغتين العربية والتركية في وكالة الأناضول الرسمية، فقال أثناء النقاش: «يرتكب الصحفيون العاملون بمجال الترجمة العديد من الأخطاء أثناء عملهم، وأهم أسباب ذلك عدم إلمام المترجم بالحدث وتفاصيله بشكل جيد، وعدم اطلاعه على سياسة الدول التي ترد تصريحات من مسؤوليها حول حدث ما».
ونصح التركماني الصحفيين العاملين في ميدان الترجمة بالابتعاد عن الجمل الغامضة كي لا يتحملوا مسؤولية ما ذكروه وهو ليس بالنص الأصلي، كما يجب عليهم التدرب على السرعة خلال ترجمة الأخبار العاجلة.

وفيما يتعلق بالترجمة الفورية، أضاف أن "الصحفي العامل بالترجمة يجب أن يكون شجاعاً في حالات معينة، كما لا بد أن يكتب ما يراد أن يقال في النص الأصلي».

وتدخل الترجمة في مختلف أنواع المواد الصحفية بدءاً من التقارير والتحقيقات الواردة في الصحف والمجلات إلى الأخبار التي تنشرها وكالات الأنباء على

الإنترنت والمقالات ذات الأهمية، إضافة إلى البيانات الصحفية والتصريحات السياسية.

اختلاف المعنى

خلال كلمة مشتركة جمعت الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ونظيره الأميركي دونالد ترامب العام الماضي، ورد خطأ في ترجمة تصريحات الجانب التركي، مما أثار ضجة بين وسائل الإعلام.

فقد نقل المترجم حينها تصريحات أردوغان وغيَّر في المعنى، ففي النص الأصلي قال الرئيس التركي: «نتطلع إلى اتخاذ إجراءات من أجل مكافحة التنظيمات الإرهابية بإصرار وبشكل مبدئي، وتتلافى الأخطاء التي عشناها في الماضي».

أما المترجم فقال: "نحن نعلم أنه في إطار المواكبة المبدئية والملتزمة بمكافحة التنظيمات الإرهابية، لن نقوم بتكرار الأخطاء التي حصلت في الماضي وسنستمر في هذه الطريق معاً".
ونقل معنى القول لا ترجمته حرفيا هو من أبرز المصاعب التي تقف أمام الصحفيين المترجمين أثناء عملهم. كما أن العديد من المترجمين يقعون ضحية ترجمة مواد صحفية قبل التحقق من مدى مصداقية هذه المصادر في نقل الأخبار، الأمر الذي يضعهم في دائرة مروجي الشائعات.

ويعتبِر مترجمون يعملون في مجال الصحافة أن أكثر أنواع الترجمة عرضة للأخطاء هي الترجمة الفورية، خاصة أن المترجم لا يملك الوقت الكافي كي ينقل الخبر بوضوح كامل، لذا يعتمد في قول المعنى القريب للنص الأصلي إن كانت التصريحات تحتوي على بعض المصطلحات الغامضة.

اتصلتُ بإيفا وهي صحفية بلغارية تعمل في مجال إعداد التقارير الصحفية وتضطر إلى ترجمتها لعدة لغات.. قالت أثناء الحديث: «أعمل كصحفية مستقلة ومتعاونة مع عدة وكالات أنباء.. عندما أترجم مادة صحفية أحيانا ينتقل المعنى إلى ثلاث لغات من العربية إلى الإنجليزية ومن ثم إلى البلغارية».

وقعت إيفا ضحية مشاعرها أثناء إعداد المواد ذات الطابع الإنساني، وتوضح «أتعاطف أحيانا مع القصص الإنسانية فأجد نفسي قد ابتعدت عن المعنى الأصلي.. هكذا أقع في الخطأ دون أن أشعر».

المترجمة الجزائرية خولة سعادة، خلال عملها في ترجمة الأخبار.

مزايا إضافية

يوجد عدة صحفيين يملكون في الأصل مهارات التواصل بلغات أخرى نتيجة تعلمهم إياها في وقت مبكر، فتتحول إلى مزايا إضافية يستخدمونها أثناء عملهم الصحفي.

التقيت أيضا المترجمة الجزائرية، خولة سعادة، التي عملت في ميدان الإعلام وتتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهي من أخبرني أن «بعض الصحفيين يتمتعون أصلا بمهارات التواصل بلغات أخرى، وقد استثمروا هذه المزايا في عملهم الصحفي». ومن المعروف أن الأشخاص الذين يتقنون لغات أخرى بسبب ظروف ساعدتهم على ذلك كمعيشتهم في بلد ما لفترة معينة، مطلعون على اللغة ومعانيها بشكل كامل. وهؤلاء أقل المترجمين عرضة للنقل الخاطئ أثناء عملهم، خاصة أنهم على دراية بما تعنيه بعض المصطلحات والأقوال الشهيرة في البلد المتحدث بذات اللغة.

وعن أخطاء الترجمة، أكدت أن «الترجمة الحرفية للنص أكثر الأخطاء المتكررة بين المترجمين، سيما إن كان النص الأصلي يحتمل أكثر من معنى، وهذا ما يجعله ينقل معنى مختلفاً عن المقصود منه».

وتقدم سعادة بعض النصائح لمن يعمل في الترجمة، من أهمها الاطلاع على «أبجدية الصحافة» والمتمثلة في تكوين الخبر القصير والقوالب الصحفية المتبعة وأنواع الأخبار والتقارير. ومهما برع الصحفيون ممن يعمل في مجال الترجمة فلا يمكن أن يتخلوا عن القواميس التي تعطيهم معاني عديدة للكلمة الواحدة من أجل تلافي الوقوع في خطأ تحريف المعنى.

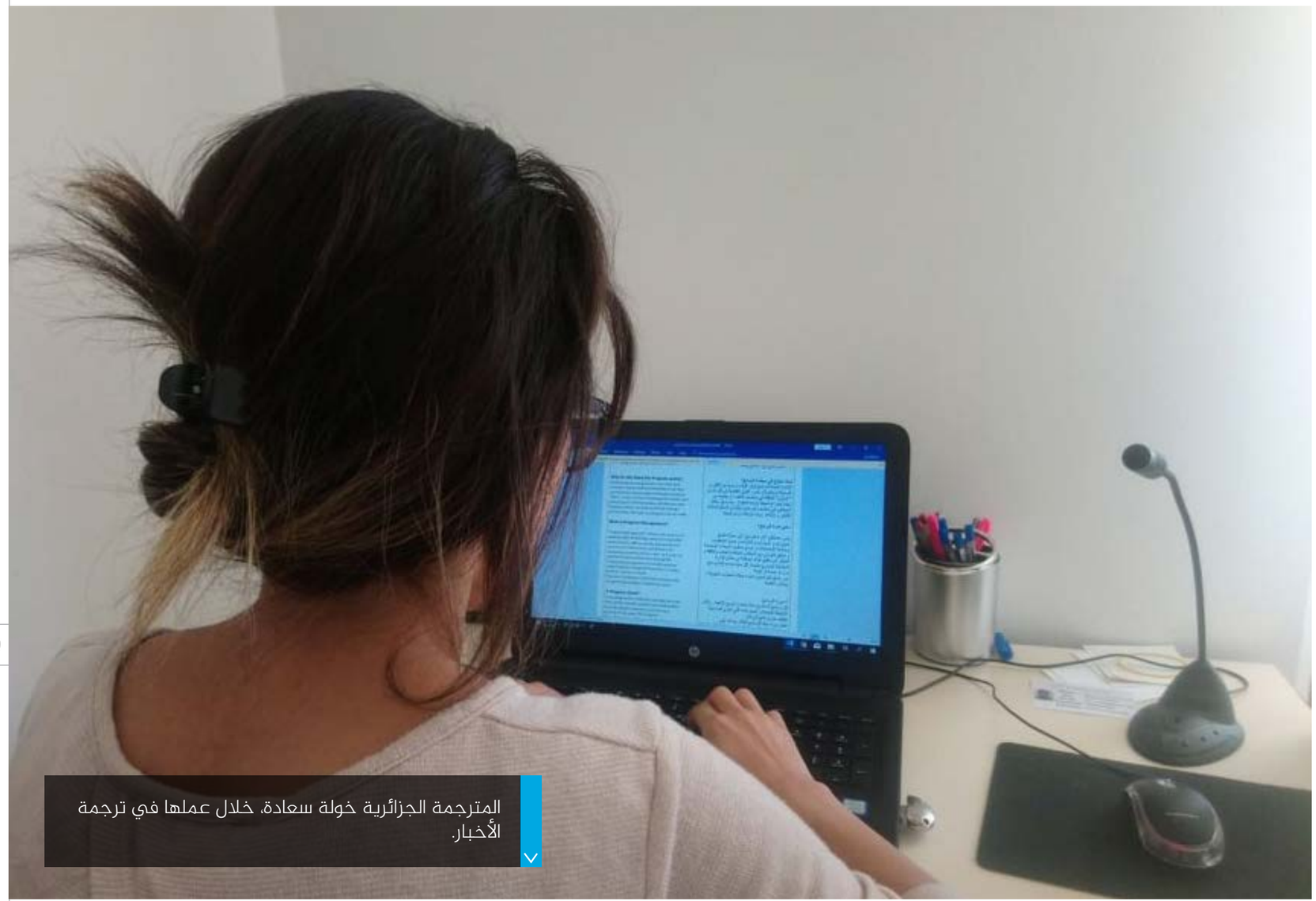

فيلم «الحروب القذرة».. الصحافة في زمن الحقائق البديلة

محمد خمايسة

كيف يمكن للصحفي أن ينشر قصة مليئة بالحقائق إن كانت تخالف السردية الأعلى صوتا للأحداث. تلك السردية المدعومة من قبل قوى عظمى، والتي تحاول إخفاء الحقائق عن الرأي العام.

إعلان فيلم «حروب قذرة» على شاشة ضخمة ضمن الأفلام الوثائقية المرشحة لنيل جائزة الأوسكار عن دورتها الـ68 في بيفرلي هيلز 2014. تصوير: ألين بيريزوفسكي - غيتي.

في حفل جوائز الأوسكار عام 2014 كان تحقيق صحفي استقصائي على لائحة المرشحين لأفضل فيلم وثائقي، وهو الفيلم الذي يوثق لجهد صحفي قام به صحفي مجلة «ذي نيشن» (The Nation) آنذاك جيريمي سكاهيل، الذي يعمل حاليا في موقع «ذي إنترسبت» «The Intercept» الإخباري.

تدور أحداث الفيلم (التحقيق) بين عامي 2010 و2011، حيث بدأ سكاهيل إنتاجه خلال عمله مراسلا في أفغانستان، بعد أن عثر على الخيط الأول في تحقيقه من خلال التشكيك في بيانات حلف شمال الأطلسي (ناتو) حول الغارات التي تشن على طالبان في أفغانستان، الأمر الذي دفعه للخروج من المنطقة الخضراء إلى باقي المدن التي كان يسميها الناتو "المناطق المنكرة" (Denial Areas)، وقاده إلى هناك تقرير (1) مراسل صحيفة "التايمز" البريطانية في كابل جيروم ستاركي حول حادثة مقتل خمسة أشخاص -بينهم ضابط في الشرطة الأفغانية ونساء حوامل- في مداهمة لجنود أميركيين منزلا بمدينة غارديز في ولاية كابيتا، الذي أصدر الناتو في وقتها بيانا يكذب فيها الصحفي ستاركي ويحاول تشويه سمعته المهنية (2).

فتش عن المصادر الغائبة عن المشهد

حاول سكاهيل إعطاء القصة بعدا إنسانيا جديدا تعدّى مجرد ذكر أسماء الضحايا والقاتل، وخاطر بنفسه للذهاب إلى غارديز نفسها لسماع شهادة أهالي القتلى حول الحادثة، وإعطائهم حقهم في التعليق على قصة مقتل أقاربهم، ليعثر على فيديو مصوّر على هاتف محمول لأحد أقارب الضحايا يوثق الدقائق الأخيرة قبل اقتحام القوات الأميركية للمنزل، ويفند الادعاءات التي اتهمت الضحايا بأنهم قُتلوا أثناء تبادل إطلاق نار.

يُظهر الفيديو ضابط الشرطة داوود الذي قُتل في الاقتحام وهو يرقص خلال حفلة أقيمت بمناسبة قدوم مولود جديد، قبل دقائق من اقتحام القوات الأميركية للمنزل وقتلوه مع آخرين. ويورد سكاهيل على لسان الأهالي، الطريقة الوحشية التي حاول بها الجنود طمس أي دليل يربطهم بالحادثة، عبر إخراج الرصاص من أجساد الضحايا بواسطة سكين وهم لا يزالون على قيد الحياة ومنع الأهالي من أخذ المصابين إلى المستشفى.

ويتتبع الفيلم الوقائع التي حدثت في تلك الفترة والتي كان من ضمنها تحقيق سري للأمم المتحدة يؤكد الكثير من المعلومات التي رواها الأهالي حول الحادثة، لتنتهي القصة بتقديم قائد قيادة العمليات الخاصة المشتركة الأميركية (JSOC) وليام ماكريفن الاعتذار من الأهالي عبر تقديمه لهم خروفين كقربان وفق الأعراف هناك (3).

الشيطان في التفاصيل

لم يكن خبر زيارة قائد إحدى القوات الخاصة الأميركية لأسر الضحايا في غارديز لينتشر لولا أن الأهالي أصرّوا على السماح للصحفيين بالتقاط الصور بعد أن حاول ضباط منعهم، وهي الصور التي قادت سكاهيل للتعرف -للمرة الأولى- على قيادة العمليات الخاصة المشتركة الأميركية (JSOC) على حد وصفه، مثيرا التساؤل حول السبب الذي جعل قائد هذه الوحدة العسكرية تحديدا يقدم الاعتذار من أهالي الضحايا، وهو الخيط الذي قاده إلى بحث موسع شمل عمليات عسكرية في اليمن والصومال وأفغانستان ودول عديدة أشرفت عليها هذه الوحدة العسكرية الخاصة، التي تبيّن أنها تتحرك وفق أوامر رئاسية سرية تصدر من البيت الأبيض مباشرة، قبل أن تصبح مشهورة للعلن مطلع العام 2011، بعد تنفيذها عملية اغتيال زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن.

هذه المعلومات جعلت سكاهيل يتوسع في تحقيقه أكثر، ليبدأ بالبحث عن الهجمات الأميركية التي كانت تتم داخل دول لم تعلن الولايات المتحدة حالة الحرب فيها، كمجزرة "المعجلة" في محافظة أبين اليمنية عام 2009، التي قتلت خلالها القوات الأميركية أكثر من 40 مدنيا -بينهم نساء وأطفال- بعد استهداف مخيم للمدنيين بصواريخ كروز.

جيرمي سكاهيل (يمين) مع مخرج الفيلم ريتشارد روولي.

2 فبراير/شباط 2011 بأنه سيصدر عفوا عاما عن شائع خلال ساعات، إلا أنه تراجع عن القرار بعدما اتصل به الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما. سكاهيل عاد لسجلات البيت الأبيض في ذلك اليوم ووجد بالفعل نص المحادثة التي جرت بين الرئيسيْن، والتي تضمنت طلبا ضمنيا من أوباما بعدم إطلاق سراح شائع الذي كشف تورط الولايات المتحدة في مجزرة "المعجلة" .

تفتح هذه القضية بابا آخر أمام سكاهيل وهو قصة أنور العولقي، المواطن الأميركي ذي الأصول اليمنية الذي اغتيل بطائرة أميركية مسيَّرة في اليمن، ومن ثم اغتيل ابنه عبد الرحمن (16 عاما) بعد أيام، ليثير سكاهيل قضية حقوقية تتعلق بالصلاحيات الخاصة بالرئيس أوباما، والتي تسمح له بقتل مواطنين أميركيين دون أي محاكمة.

يروي سكاهيل في الفيلم أنه تعرّض لتهديدات مبطنة من قيادات داخل الجيش الأميركي، واختُرِقَ حاسوبه الشخصي ونُسخ جزء من الملفات الموجودة فيه، مما يشير إلى حجم الضغوط التي يمكن للصحفيين الأميركيين أن يتعرضوا لها لو خرجوا عن الرواية الرسمية التي تريد الحكومة إيصالها، وهو ما يثير الأسئلة حول الحرية الصحفية المسموحة للصحفيين الذين يرفضون تصديق الرواية الرسمية ويسعون لكشف المعلومات المُتحفَّظ عليها تحت ذريعة الحفاظ على الأمن القومي.

صورا لبقايا صواريخ أميركية لا يملكها الجيش اليمني، وأرسلها إلى وكالات أنباء عالمية ومنظمة العفو الدولية، لتلقي السلطات اليمنية القبض عليه بتهمة التعاون مع تنظيمات مسلحة. المفارقة التي التقطها سكاهيل في قصة شائع، أنه في بدايات العام 2011 خرجت أصوات شعبية تنادي بإطلاق سراح عبد الإله شائع من السجن، بعد أيام من اندلاع الاحتجاجات التي أسقطت الرئيس اليمني علي عبد الله صالح. وكان الأخير قد صرح يوم

حدود لحرية الصحافة بأميركا!؟

يطرح الفيلم قضية ذات أهمية فيما يتعلق بحدود حرية الصحافة داخل الولايات المتحدة، وحجم دعمها لتلك الحرية في بلدان العالم، حيث يعرض حادثة اعتقال السلطات اليمنية للصحفي اليمني عبد الإله شائع، الذي فنّد رواية السلطات الرسمية اليمنية التي ادعت أنها المتسببة في تلك الغارات، بعد أن زار منطقة الهجوم والتقط

أين تنتهي مهمة الصحفي؟

يثير الفيلم تساؤلا حول الحد الفاصل الذي تنتهي عنده مهمة الصحفي.. هل يكتفي بعرض المعلومات المؤكدة؟ كيف يمكن لمعلومات مؤكدة أن تواجه آلة دعاية رسمية تتهمها بالكذب؟ كيف يقنع الصحفيون الجمهور بقصصهم في ظل ما أصبح يعرف بزمن الحقائق البديلة (Alternative facts era) التي تجعل الحقيقة عبارة عن رأي يحتمل عدة وجهات نظر. الأسئلة الأبرز التي يمكن استقراؤها من تحقيق سكاهيل تتعلق بالكيفية التي يجب أن تروى بها القصة الصحفية، وحجم المشاهد المؤلمة، وموقف الصحفي من القضية الإنسانية: ما حجم وشكل الأدلة الكافية لتحريك الرأي العام ليتخذ موقفا تجاه قضية ما؟ وكيف يمكن للصحفي أن ينشر قصة مليئة بالحقائق إن كانت تخالف السردية الأعلى صوتا للأحداث، تلك السردية المدعومة من قبل قوى وكيانات عظمى، تحاول -في كثير من الأحيان- إخفاء الحقائق عن الرأي العام.

أنور العولقي، المواطن الأميركي ذي الأصول اليمنية الذي اغتيل بواسطة طائرة بدون طيار أميركية في اليمن - رويترز.

المراجع:

1- Starkey, Jerome. «Survivors of Family Killed in Afghanistan Raid Threaten Suicide Attacks.» The Sunday Times. March 15, 2010. https://www.thetimes.co.uk/article/survivors-of-family-killed-in-afghanistan-raid-threaten-suicide-attacks-ldxs8fbbqsp.

2- ISAF Joint Command. «ISAF Rejects Cover up Allegation.» DVIDS. March 13, 2010. https://www.dvidshub.net/news/46637/isaf-rejects-cover-up-allegation.

3- https://abcnews.go.com/WN/Afghanistan/special-forces-apologize-afghan-civilian-deaths-sheep/story?id=10320603

4- https://www.thenation.com/article/jsoc-black-ops-force-took-down-bin-laden/

5- https://www.amnesty.org/en/press-releases/2010/06/yemen-images-missile-and-cluster-munitions-point-us-role-fatal-attack-2010/

6- المصدر السابق

7- Scahill, Jeremy. «Why Is President Obama Keeping a Journalist in Prison in Yemen?» The Nation. June 29, 2015. https://www.thenation.com/article/why-president-obama-keeping-journalist-prison-yemen/#Why.

8- Greenblatt, Alan. «Challenges from an «alternative Facts» Era.» American Press Institute. April 04, 2017. https://www.americanpressinstitute.org/publications/reports/white-papers/alternative-facts-era-challenges/.

نضال الصحفي «غير الأبيض» لتغيير ثقافة غرفة الأخبار الأميركية

مارتينا غوزمان

ترجم هذا المقال بالتعاون مع نيمان ريبورت - جامعة هارفارد

في ربيع عام 2015، وبعد ستة أعوام قضيتُها في العمل منتجة ومراسلة، تركت العمل في محطة الإذاعة العامة في ديترويت. كنت بذلك أقفز من بر الوظيفة الآمن إلى عالم العمل الحر المتقلب.. كنت خائفة جدا في الحقيقة، إلا أن ثقل كوني الصحفية الملونة الوحيدة في غرفة الأخبار جعلني أشعر بحالة من الإرهاق الجسدي والنفسي.

خلال عملي مراسلة صحفية، كانت تروق لي زيارة الأحياء التي تقطنها مجتمعات من منابت عرقية مختلفة لكتابة قصص صحفية جيدة.. كنت أجد الكثير منها، وكان يزعجني أنه لا يمكنني الكتابة عنها كلها، لذلك حفظت الكثير مما جمعته عن الأحياء التي يقطنها أميركيون من أصول عربية وهندية ومكسيكية، وكلما احتاج أحد زملائي للحديث مع أحد المصادر في تلك المجتمعات جاءني وطلبه مني.

لم يكن لذلك أثر في نفسي في البداية، بل في الحقيقة كنت فخورة لأني أملك هذه القائمة الطويلة من الأسماء التي يمكنني الرجوع إليها في أي وقت. وذات مرة، حين قررت أخذ إجازة كنت في أمس الحاجة إليها، جاءني المدير العام آنذاك وطلب مني أن أعد قائمة بأسماء مصادر من

> **لا تعتقد تشانغ ولا زملاؤها أن على الصحفي العيش في المجتمع الذي يكتب عنه، ولكنها تؤمن بأن عليه أن يكون على دراية وافية بأحوال الناس الذين يعيشون فيه. فالهدف في نظرها، هو العملية ذاتها، وليس المنتج النهائي بالضرورة.**

بيتينا شانغ، المؤسسة الشريكة ومديرة التحرير في مؤسسة «سيتي بيرو»، تدير فعالية يعمل فيها المراسلون مع «سيتي بيرو» بتقديم أعمالهم إلى أفراد في المجتمع - المصدر: سيتي بيرو.

أميركيين من أصول عربية وأن أرسلها إلى زملائي في الفريق قبل أن أبرح المكان.

لم يتحول ذلك الاستياء المسكوت عنه في داخلي إلى غضب إلا لمّا بدأت العمل الحر، حينها فقط بدأت أدرك أني كنت أستغلّ بطريقة أو بأخرى، فأنا أزوّد الزملاء بمصادر، أترجم من الإسبانية وإليها، وأفتح الطريق أمام مجتمعات لطالما استُثنِيَت من عالم الراديو العام.. لماذا كنت أنا الوحيدة التي يتوجب عليها إعداد مصادر الاتصال هذه؟

أردت أن أعرف هل كانت هذه تجربتي أنا وحدي أم أن هناك آخرين مثلي يشعرون بأنهم يقومون بأكثر مما عليهم القيام به في وظائفهم التي لا تحدد لهم فيها المهام المطلوبة منهم أصلا. طرحت هذا السؤال على صحفيين ينتمون لجماعات عرقية مختلفة يعملون في الولايات المتحدة، وفعلت ذلك عبر رسالة على مجموعة مغلقة على الفيسبوك.. كان الجواب صاعقًا، وكان ذلك كافيا ليجعلني أرغب في الكتابة عن المسألة.

علق العديد من الصحفيين على سؤالي الذي طرحته في الفيسبوك، كما تكلمت بشكل مباشر مع كثيرين غيرهم من الصحفيين والصحفيات وأخبروني عن تجاربهم.. بيتينا تشانغ كانت واحدة منهم. وانطلاقًا من طبيعة عملها كمحررة رقمية تنفيذية في إحدى المجلات، تحدثت تشانغ عن استيائها من عملها كأنها مسؤولة -بشكل غير رسمي- عن البحث عن كتّاب مقالات رأي رئيسية، وقالت: "أتذكر أسئلة سخيفة كانت توجه إلي، مثل: هل تعرفين كاتبة سوداء يفوق عمرها الستين يمكنها كتابة مقال رأي طويل؟".

لقد كانت تشانغ حريصة على التنوع في قائمة كتّاب المجلة، وكانت غالبًا تتنازل وتساعد في العثور على ما يبحث عنه زملاؤها، لكن ما كان يسبب لها الامتعاض هو أن بقية المحررين لم يكونوا يبذلون أي جهد في بناء قائمة بالكتاب من خلفيات وهويات شتى.

تجاوزت الضغوطات على تشانغ قضية البحث عن الكتّاب، وتقول: «كأنها مسؤوليتي أنا، إذا ما كان الموضوع يخص القضايا المتعلقة بالأشخاص من أصول لاتينية أو أفريقية، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بقضايا الهجرة أو حوادث إطلاق النار، سواء كانت تمسّهم بشكل شخصي أو لا».

ومثلي تماما، تركت تشانغ العمل في الإعلام التقليدي، فبعد سنوات من العمل في المجلات سئمتْ من الشعور بأنها "ناطور" يلجأ إليه بقية المراسلين كلما احتاجوا إلى مصدر. كانت تشانغ على يقين بأن هناك طريقة أفضل للعمل، لذا عزمت هي وثلاثة من زملائها على تأسيس غرفة الأخبار المثالية في نظرهم. انطلقت مؤسسة «سيتي بيرو» (City Bureau) عام 2015 وفق رؤية تنص على ما يلي: "الجمع بين الصحفيين وأفراد المجتمع من أجل تغطية إعلامية عادلة ومساءلة السلطات وذوي النفوذ». بالنسبة لتشانغ -الشريكة المؤسِّسة ومديرة التحرير في المؤسسة- كان ذلك يعني واقعا مغايرا، فبدل أن يتحمل صحفي واحد أو اثنان عبء البحث عن المصادر في المجتمعات الملونة أو في مجتمعات المهاجرين، صار ذلك أمرا يشترك في مسؤوليته جميع الزملاء.

يمضي الصحفيون في "سيتي بيرو" أسابيع في العمل على كتابة قصة واحدة، إذ يُرسلون إلى المجتمعات المختلفة لتكوين العلاقات وتقوية روابط الاتصال مع أفراد لهم نشاطات في تلك الأحياء. تقول تشانغ: "يدرك الصحفيون عندما يدخلون إلى غرفة الأخبار أن مهمتهم هي فهم السياق الكامل للقصة التي يبحثون فيها"، وتتابع: «حتى لو كان ذلك يعني عقد عشرة اجتماعات دون كتابة كلمة واحدة».

لا تعتقد تشانغ ولا زملاؤها أن على الصحفي العيش في المجتمع الذي يكتب عنه، ولكنها تؤمن بأن عليه أن يكون على دراية وافية بأحوال الناس الذين يعيشون فيه. فالهدف في نظرها هو العملية ذاتها، لا المنتجُ النهائي بالضرورة. هذا المنهج يتيح للصحفيين الدخول وفهم التاريخ الخاص بذلك المجتمع

ليتعرفوا على القوى الفاعلة فيه، وليفهموا طبيعة تعاطي السلطات مع أفراده والعلاقات التي تحكم الناس فيه.

وتضيف تشانغ: "بعبارة أخرى، إن لم يسبق لك الذهاب إلى مجتمع ما لتقدم له شيئًا، فمن الأفضل ألا تكتب عنه». خلال سنوات عملي في محطة الراديو، كنت أتصل بمشرفي جون رودلف -المحرر التنفيذي في مؤسسة "فيت إن تو وورلدز" (Worlds 2 Feet in)- للحصول على نصيحته حول كيفية الوصول إلى غرف الأخبار التي تتألف من أشخاص بيض بشكل حصري. أدرك رودلف منذ وقت طويل أنه لا يتم تقدير القدرات المتعلقة بالتواصل الثقافي كما يلزم. فكما يقول، ما زال المحررون لا يدركون أن التحدث بلغة ثانية، والقدرة على الولوج في مجتمعات المهاجرين وفهمهم والتحدث إليهم، هي مهارات خاصة لا يستهان بها. ويضيف: «لعقود طوال تحدثت المؤسسات الإخبارية عن أهمية الاختلاف، إلا أنها حتى الآن لم تستطع الوصول إلى طريقة تمكن من الاستفادة منه».

تقدّم مؤسسة "فيت إن تو وورلدز" برنامجا تدريبيا مرموقا للمراسلين المهاجرين في نيويورك. وفي كل عام، تختار أربعة مراسلين للمشاركة في البرنامج (وقد شاركت فيه عام 2008)، إذ يعملون مع مشرف يساعدهم على تطوير مهاراتهم الإذاعية، ويوفر لهم مساحة تتيح لهم تعلم أشياء جديدة، وارتكاب الأخطاء دون أن يتم الحكم عليهم.

تخرَّج عدد كبير من المراسلين من برنامج التدريب هذا منذ

أطلقت مؤسسة «سيتي بيرو» العديد من المبادرات وكان منها تنظيم ندوة مجتمعية من أجل مناقشة عمليات إعادة التطوير في المنطقة الصناعية في الجانب الغربي من شيكاغو - المصدر: سيتي بيرو.

تأسيسه وحققوا نجاحات باهرة، ولكن رودلف يقول إن أربعة مراسلين في العام الواحد عدد غير كاف. ويواصل: لا بد من تكوين نظام إشراف للصحفيين من المهاجرين يساعدهم على الانخراط في غرف الأخبار، وهي بيئات فيها الكثير من التنازع والصدام بطبيعة الحال. لا بد أن تكون هناك هيكلية معينة لمساندة الأشخاص الذين استُثنوا تقليديا من هذه الأماكن.

إن الرسالة التي يحملها برنامج "فيت إن تو وورلدز" هي شيء أؤمن به حقا، ولذلك بدأت في منتصف العام 2017 العمل مع المؤسسة لإطلاق البرنامج في ولايات أخرى. وفي هذا الخريف ستفتتح المؤسسة بالتعاون مع إذاعة "دبليو ديت" (WDET) أول مكتب في ديترويت، حيث سيدرِّب أربعة صحفيين مخضرمين من المهاجرين أربعة صحفيين من أصول عرقية مختلفة، والهدف من ذلك إيجاد مجموعات من الصحفيين الأكفاء للعمل في وسائل الإعلام المكتوب والمسموع في ديترويت.

على مدى القرن الماضي، خضعت إدارة المؤسسات الإعلامية "لمقياس موحد» وضعه رجال بيض. يمكن القول بأن المهنة تطورت نوعا ما، لكن ثقافة غرفة الأخبار لا تزال على ما هي عليه، وما هذا الكفاح من أجل نقل القصص عن المجتمعات الملونة إلا أثر من ذلك النموذج القديم.
أما بالنسبة لبارب أنغوياني -وهي مراسلة في وسط غرب الولايات المتحدة- فإن مصدر الإحباط الذي تعيشه هو أنه دائما ما تُستبعد عن إعداد القصص الصحفية المتعلقة بقضايا ذوي الأصول اللاتينية. تقول بارب "يقولون إنه لا أحد يستمع إلى الإذاعة في مجتمع من أصول لاتينية، لكنهم لا يعلمون أن الطريقة الوحيدة للحصول على المستمعين هو أن تمنحهم صوتًا". وتضيف: «مَن بربّك تعتقدين أنه أقدرُ على فهم هذا المجتمع من ابنة مهاجرين مثلي؟». لقد أحست بارب بأن أفكارها لا تلقى ترحيبا أبدا، مما جعلها تسأل نفسها لماذا اختارت العمل في محطة إذاعة عامّة من الأساس. أما الآن فبدلا من انتظار التطور على سلم الوظيفة، فإن بارب تفكر في ترك غرفة الأخبار.. "لا أشعر بأني أقدم أقصى ما أستطيع.. أشعر بأن لدي شيئا مهما يسعني تقديمه، وأن عزيمتي هذه قد تذوي هنا.. أتساءل: هل العمل الصحفي الحر إلى جانب وظيفة في متجر ما هو الحل الأفضل؟".

جميع من تكلمت معهم من الصحفيين تقريبا، إما قد تركوا مؤسساتهم الإعلامية أو أنهم يخططون لذلك. إن عدم تواجد الصحفيين الملونين في غرف الأخبار أمر خطير، ليس لأن عددهم قد يقل واحدا، بل للخسارة التي يحدثها ذلك في تطبيقنا للديمقراطية التمثيلية.

تقول المذيعة الزائرة في الإذاعة الوطنية العامة "أن. بي.آر" (NPR) ومؤلفة كتاب بعنوان "العقلية المسموعة" (Mentality Heard) سيليست هيدلي: رأيت ذلك يحصل بأم عيني.. تضمّ صحفيا ملونا إلى الفريق، وفي الأسابيع الأولى للعمل يشرع بطرح أفكار جديدة ومثيرة، ولكن البقية ممن «قرؤوا على شيخ واحد» ويتشاركون الأولويات ذاتها ويحملون الأفكار نفسها حول ما هو صواب وضروري، يجدون أن أفكار هذا الصحفي الجديد سخيفة وغير جديرة بالاهتمام، بل ويجعلونها محلّ استهزاء في بعض الأحيان.

تقول هيدلي إن الكارثة التي تحصل عندما يترك أمثال أنغوياني غرف الأخبار، تكمن في استمرار التفكير الجماعي النمطي الذي يحدث نتيجة توظيف أفراد تلقوا التعليم ذاته، وينتمون إلى خلفية اجتماعية واحدة، ويبدؤون تلقائيا بتكريس نفس الأفكار والقصص.
وخلال مهنتها كمقدمة للبرامج الإذاعية، عملت هيدلي في شبكة "أن.بي.آر" (NPR) وفي العديد من المؤسسات الإعلامية المحلية والوطنية العريقة، وكمقدمة سابقة لبرنامج «أون سكاند ثاوت" (On Second Thought) الذي كان يذاع على أثير راديو ولاية جورجيا، صممت على أن تدير هي بنفسها طريقة سير برنامجها، حيث أرادت خلق بيئة معاكسة لما يسمى التفكير الجماعي النمطي.. بيئة تشجع العاملين على الاختلاف والنقاش

والخروج بأفكار جديدة.

واحدة من تلك الأفكار كانت تغطية أخبار موسيقى الهيب هوب والفانك على أنها فنّ رفيع، تمامًا كما يُنظر إلى أوركسترا أتلانتا.. تقول هيدلي: "كنا أول برنامج إذاعي يخصص فقرة كاملة عن مغني الراب من أصول أفريقية جوتشي ماني».

قد لا يبدو الأمر على قدر كبير من الأهمية، ولكن إذا نجح ذلك في تغيير سلوك الناس تجاه الأميركيين الشباب من أصول أفريقية الذين يعزفون الهيب هوب الصاخب، وأن يبدؤوا باعتبار ذلك فنا موسيقيا آخر لأنهم سمعوه على الراديو، فإن الفكرة قد تستحق كل ذلك العناء.

نقوم -نحن البشر- بالأعمال الموكلة إلينا على أكمل وجه حين نحاط بالاختلاف الفكري، ولكن في محاولة التوصل إلى إجماع واتفاق دائميْن، نقتل تفكيرنا الخلاق والإبداعي. إن الإصرار على أهمية الاختلاف يتجاوز التحلّي باللطف وحسب مع من تختلف معهم، فهذه ليست قضية أخلاقية.. السبب الحقيقي الذي يجعلنا بحاجة إلى الاختلاف هو أنه يجعلنا جميعا أشخاصا أفضل.

«السبب الحقيقي الذي يجعلنا بحاجة إلى الاختلاف هو أنه يجعلنا جميعا أشخاصا أفضل» - شاترستوك.